

السلطة
والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق

هوية الكتاب

الطبعة الاولى

٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

المركز العراقي للإعلام والدراسات

سوريا - دمشق

ص. ب: ٦٥٩٨ تليفاكس: ٥٤٣٢٥٨٤

بريد الكتروني:

Derasatiraqiya@hotmail.com

السلطة
والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق
حوار صريح مع
سماحة آية الله أحمد الحسني البغدادي

المركز العراقي للإعلام والدراسات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سماحة آية الله السيد أحمد الحسن البغدادي واحد من ابرز رموز واسماء المؤسسة الدينية الشيعية في العراق اسس ما يعرف بحركة الاسلاميين الاحرار، وكان عضواً في منظمة الشباب المسلم غادر العراق اضطراراً في العام ١٩٩٨، وعاش فيه اخطر فترة في تاريخ تدخل الانظمة في شؤون المؤسسة الدينية، ما يقارب العشرين عاماً منذ اعوام الشهيد السيد الصدر الاول حتى التاريخ المذكور.. وهي اعوام شهدت انماطاً شتى من تعاطي السلطة مع المؤسسة. كان المجاهد البغدادي أحد المستهدفين والمعنيين بذلك، لذا ارتأى (المركز العراقي للاعلام والدراسات) أن يجري لقاءً معه في هذا الاطار وحول شؤون اسلامية وحركية اخرى.

من الانتماء إلى التأسيس

س: نبدأ مع بداية عملك الحركي كيف كانت البداية بالتحديد؟

ج: انخرطت في باكورة شبابي وبالتحديد في شتاء ١٩٦٣ في تنظيمات (الشباب المسلم) في العراق.. وقبلها بعام كنت تحت الاختبار والتوجيه، وكان مسؤولي في بداية الأمر الأخ (محمد علي الصائغ)، وكنت كثير النقد والنقد الذاتي حول الظواهر السلبية التي تعيق الحركة الإسلامية (حينذاك)، وفي بعض الأحيان يعتذر عن الإجابة، ويرجأ الأمر إلى مسؤوله للإجابة عن ذلك.. بيد أنه بعد سنة تقريباً صدر أمر حركي أن يكون مسؤولي الشهيد محمد صالح الحسيني، وفي غضون ذلك دخلت في حوارات جديدة معه خصوصاً أنني مسلح بثقافة إسلامية من خلال قراءاتي لأدبيات الأخوان المسلمين، وحزب التحرير، وحركات قوى التحرر العربية والعالمية.. ومن أبرز تلك الحوارات التي أخذت بها القيادة هي: اقترحت عليه أن لا نعمل مع الأصدقاء الجدد بصفتنا من (الشباب المسلم)، وأن لا نتصل بهم بهذه الصفة.. فالأولى أن نقوم بنشاطات رياضية وسفرات ترفيهية، ورحلات مخصصة لزيارة الأئمة المعصومين، والأولياء والصالحين إلى توثيق الصلات الشخصية البحثية، وكان رأيي أن أصدقاءنا حين يكتشفون بعد عام من الصداقة والمودة من أننا من الشباب المسلم سيكونون في دائرتنا كحد أدنى، أو ينخرطون في التنظيم كحد أعلى، والكسب قائم لا محال في كلتا الطريقتين، وقد اتبعنا هذه السياسة بنجاح وتوسع التنظيم هنا وهناك.

لقد التف حول (منظمة) الشباب المسلم عدد من المثقفين، ونخبة من أبناء الطبقة الوسطى، وتركزوا أساساً

في النجف الأشرف، وكربلاء، والكاظمية، والكرادة الشرقية في بغداد، وبدرجة أقل في الجنوب، وكانت سيدة ساحة العمل الإسلامي في أواسط الخمسينيات، وهي حركة تدعوم خلال أديباتها إلى تحقيق المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وكانت نشرة التنظيم (الذكرى) شديدة التركيز على الجانب الأخلاقي، وكانت أمام هذه المنظمة فرصة تاريخية لأن تكون سيدة الساحة في عموم محافظات العراق، بوصفها أول حركة سياسة إمامية إسلامية، وتقديمها مفهوماً للإسلام مغايراً للاتجاه الذي حاولت العلمانية ترسيخه على مدى العقود التي سبقت ظهورها، لولا قيادتها الإصلاحية غير الثورية، فمع الشخصية النزيهة لهذه القيادة المتمثلة بالشيخ عز الدين الجزائري، إلا أنها كانت مترددة، مضافاً إلى غموض فكرها واطروحاتها النظرية والسياسية تجاه مشاكل المجتمع العراقي مع التقصير في تبني هموم المواطن اليومية.

وفي مستهل ١٩٦٥ لبست الزي الحوزوي (العمامة)، وعندما انتهت من دراسة كتابي المكاسب والكفاية.. التقيت بالسيد أبي إبراهيم الخليل، واقترح علي أن أترك تنظيم: (الشباب المسلم)، كما هو بدوره يترك تنظيم (حزب الدعوة الإسلامية)!. وقال لي: أدعوك أن تنصرف كلية إلى الدرس والتدريس، والمذاكرة العلمية، وقراءة الثقافات الجديدة.. وحينما أعود من فرنسا بعد إكمال تحصيلي لاكتساب شهادة الدكتوراه في القانون الدولي، نشكل حركة ثورية تقدمية إسلامية واقنعت بالفكرة بعد حوار دام سنة تقريباً، وبالتالي طلبت الاستقالة من مسؤولي الشهيد محمد صالح الحسيني، بيد أن القيادة لم تقبل بذلك.. بسبب حرصهم علي تبعاً لنشاطي وموقعي العائلي، كما طلبوا مني أن أقدم لهم السبب المقنع بذلك.. قلت: أريد التفرغ للدرس والتدريس، وأنا سأبقى معكم على اتصال ولا أقطع صلتني بكم.. وبالفعل بقيت المودة والتواصل الدؤوب، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث تزوجت حفيدة الشيخ المجاهد عبد الكريم الجزائري، وبنّت أخت الشيخ عز الدين الجزائري.

س: ما هي الأسباب والعوامل التي أدت في تقديرك إلى فشل تجربة الشباب المسلم، بالإضافة إلى ما اسميته تردد القيادة؟

ج: قبل الانقلاب الأسود عام ١٩٦٨ بفترة زمنية كنا (آنذاك) نلمس ونعيش تفتت الشباب، وسقوط كوادره.. بسبب الصراع الحاد بين الجزائري ومؤيديه، والحسيني ومريديه. وبعد نجاح الانقلاب الأسود انحل الشباب المسلم، وتركوا العمل.. بسبب الاعتقال، وكشف الوثائق، والطابغة، ومغادرة بعض القادة من العراق، وبخاصة الشهيد محمد صالح الحسيني الذي انخرط في صفوف المقاومة الفلسطينية في لبنان، والشيخ عز الدين الجزائري اعتزل السياسة، واشتغل بالتجارة!!.. والعامل الأساس لانحلال منظمة الشباب المسلم أنها كانت تعتمد العمل الخلوي والخطي... هذا العمل شكل اختراق الطاغوت لجداره، وكان واحداً من بين أهم أسباب فشل التنظيمات الخلوية والخطية، كما ان المنظمة كانت لا تؤمن من حيث المبدأ بالميدان والعمليات الجهادية النوعية عبر آليات دقيقة ومحكمة ضد المؤسسات الأمنية والمخابراتية، ورموزها القياديين، بالاشتراك مع إخوة الجهاد العاملين المستقلين. ومن الضروري بمكان عدم إغفال مفردة كان لها فعل يومي ملموس في بداية الستينيات من لدن العاملين الإسلاميين، وهي: إن قيادة الشباب المسلم لم تطرح نظامها الداخلي وبيانها (علانية) حتى لأقرب المقربين لأسباب لا يمكن فهمها!!.. وهذا بخلاف جماعة الأخوان المسلمين، وحزب الدعوة الإسلامية.. وقد أعلنوا

بشكل أواخر عن برنامجهم السياسي ونظامهم الداخلي.

كان الشيخ عز الدين الجزائري يتردد في كل أسبوع لزيارة الإمام المجاهد السيد محمد الحسني البغدادي (ت ١٣٩٢ هـ) لأسباب كثيرة أهمها: كانت هناك وشائج مودة وصداقة بينه وبين السيد البغدادي، بالإضافة إلى علاقة المصاهرة والآباء والأجداد.

وفي أواخر العام ١٩٦٣ كان الشيخ مهدي العطار يتردد عليّ بوصفه صديقاً ومن أبناء منطقتنا، وعند غياب والده يجلس في محله، وكنت أنا في أوقات الفراغ والتعطيل الدراسي أتردد عليه، وكنت اظن أن العطار يبدو منتمياً في خلايا حزب الدعوة الإسلامية، وذلك من خلال تردد الدعاة عليه، ومن خلال تأكيدات المتكررة عليّ أنه ينبغي أن تبلغ سماحة السيد الجد بأن الشيخ الجزائري قائد تنظيم، وتقترح عليه أن يخاطبه بصراحة: أين نظامكم الداخلي باعتبار هناك إشاعات ضد مسيرتكم الإسلامية أريد أن أتأكد هل هي إشاعات صحيحة أم مغرضة؟!..

كل هذه التساؤلات المثيرة التي أراد مني طرحها على جدي السيد البغدادي، وهولا يعلم أنني كنت أخشى أن أتحدث بمثل هذه المسائل، وكانت سرية التنظيم تمنعني عن ذلك، وإن كان في أطروحتة الفقهية الاستدلالية (وجوب النهضة) يفتي بوجوب تشكيل التحزبات والجمعيات الإسلامية، حتى في يوم من الأيام سأله الدكتور السيد أبوإبراهيم الخليل قبل سفره عام ١٩٦٦ إلى فرنسا: هل يجوز الانتماء إلى التنظيمات الإسلامية في العراق؟.. قال له: بل يجب الانتماء وبخاصة في هذا الزمن المنكوس المنحوس، شريطة إذا كانت تلك القيادات السياسية مخلصه للإسلام وفي خط أهل البيت الطاهر (عليه السلام).

س: ما هي الأسباب التي دعتمكم لتأسيس حركة إسلامية جديدة، رغم خروجكم من تجربة انتهت إلى التوقف والشلل؟

ج: منذ عام ١٩٨٠ انتقلت معظم قيادات الحركات الموجودة سابقاً في داخل العراق إلى خارجه بعد هجمة شرسة شنتها السلطة على الحركة الإسلامية وأنصارها بشكل عام.. ولذا بقي الداخل العراقي في ظل حالة قمع استثنائي يعيش حالة من المراوحة في نشاط العمل الحركي، فلم يبق فيه سوى خطوط عمل ضعيفة مقطوعة الاتصال بقيادتها المقيمة خارج العراق، وفيما كان الانتماء الشبابي إلى الحالة الإسلامية يزداد اتساعاً لم يلاحظ أن هذا الاتساع أنتج إطاراً حركياً بحجمه وسعته فأخذ هذا الانتماء الشبابي إلى الحالة الإسلامية يزداد اتساعاً.. فأخذ هذا الانتماء يعبر عن نفسه ببعض الظواهر كظاهرة الأهور (مثلاً) التي نمت بشكل تدريجي . حسب تعبير عادل رؤوف في كتابه العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية . وهذا ما ناقشه لاحقاً، وبقي الشارع العراقي الإسلامي يرمي بنظره صوب الجمهورية الإسلامية في إيران من جهة وصوب الحركات والأحزاب والشخصيات الرئيسية التي كانت مقيمة فيها من جهة أخرى ويراقب ويسمع وسائلها الإعلامية المسموعة التي (تبشره) ب(فتح قريب).. ولعل لهذا الإعلام دوراً في التأثير السلبي على عدم ولادة حركات واسعة داخلية.. وإذكاء الرهان من خلال الإعلام على الخارج وعلى إيران بالذات التي كانت تصر على مواصلة الحرب حتى إسقاط النظام الحاكم في العراق... ولقد أظهرت الانتفاضة عام ١٩٩١ خطأ هذا الرهان وسليته بشكل مؤلم حسب تعبير الأخ الأستاذ عادل رؤوف في كتابه (العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية) أيضاً عندما ظهر الفراغ القيادي الداخلي.. وعندما انعكست خطورة غياب التنظيم

الحركي الداخلي البحت الذي يعتمد على إدارة نفسه، ولا يصبو نظره إلى الخارج ويبرهن عليه وكان هذا الخطأ مزدوجاً ربما يتحمل مسؤوليته الداخل والخارج على حد سواء، وإذا كان الداخل (معدوراً) إلى حد ما، لأنه مغموع ومرصود ومراقب وبالأخص برموزه التي بإمكانها أن تبادر إلى التأسيس الحركي الفاعل، فإن الخارج . أي معارضة الخارج . تتحمل مسؤولية أكبر في هذا الإطار على أية حال. لقد استفاد الداخل من التجربة بعد الانتفاضة وأفرز قيادته الخاصة بزعامة الشهيد محمد صادق الصدر الذي اغتيل، وتوقفت تجربته من جديد، وانتبه من ناحية ثانية إلى ضرورة العمل الحركي الداخلي.. فظهرت بعض بوادره شيئاً فشيئاً من خلال حركات (صغيرة) وأسماء حركية لم يكن لها أثر كبير، وإحدى هذه الحركات فقط سجلت حضوراً داخلياً مسموعاً وهي: حركة الإسلاميين الأحرار، تأسست في شتاء ١٩٩١ وهي حركة ثورية إسلامية بواقعها الجديد، وتسميتها الجديدة أسست مباشرة بعد انتكاسة الانتفاضة الشعبانية . الأذرية الإسلامية، وأعلنت عن نفسها في ليلة الخامس عشر من شعبان عام ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م.. والسبب الأساس في هذه المبادرة الثورية هو انهزامية المؤسسة الدينية النجفية، وغياب قوى وأحزاب المعارضة في الساحة العراقية الملتهبة في حرب طاغية بغداد في عملية عاصفة الصحراء لتحرير الكويت.

ولقد انتخبت من قبل المكتب السياسي والقيادة المركزية ب(الإجماع) المرشد الروحي.. وألفت ميثاقاً فكرياً وسياسياً يمثل فكر الحركة باسم (البيان الإسلامي) (طبع في العراق ب(الرونيو) عام ١٩٩١ ووزع على أعضاء القيادة المركزية والمكتب السياسي، بيد أن القيادة ارتأت أخيراً أن يطبع بعض فصوله (علانية) وعلى شكل كتب مستقلة تحمل اسم مؤلفه باستثناء المقدمة التي تنتقد النظام وطاغيته صدام حسين.. والتي كتبت باسم: القيادة المركزية، وهو فيما يلي: الاستنباط مواجهة حضارية ١٩٩١ / وقال ربكم أدعوني ١٩٩٥ / فصول رسالية ١٩٩٥ / الطاغوت يحكم الحلقة الأولى والثانية ١٩٩٦ . ١٩٩٩ / خطر التقية المعاصرة ١٩٩٨ / الثورة والعرفان ١٩٩٩ .

وفي النشرة المركزية (صوت الإسلاميين الأحرار) لي وصايا ومحاضرات باسم (المرشد) بالإضافة إلى تفردى بكتابة النشرة من رسم خط سير الإسلاميين، وفق متبنيات فكرية وتنظيمية وثقافية على صعيد فقه الشريعة العملية الخاتمة.

وبتوفيق من الله وعنايته ومدده بدأت مجاميع الحركة بالكفاح السياسي والمسلح ضد مؤسسات النظام وأزلامه تنفيذاً لمنهجها المنضبط الذي أصدرته القيادة، وقد أطلق عليه: (ستراتيجية العمل السري . المرحلة الراهنة).

س: ما الذي قامت به حركتكم من عمليات ميدانية، إذ حتى الآن لم يعرف الكثيرون عن هذا الجانب؟
ج: أبرز العمليات النوعية التي قامت بها هذه المجاميع تفجير مخازن الحلة العسكرية، وذلك في العاشر من آذار ١٩٩٨.. وقد نجحت العملية البطولية، وأعلنت أفواج الرفض والمقاومة مسؤوليتها عن ذلك، وبسبب ذلك بادر أعلام النظام الدليل بمدهامات وتفتيش واعتقالات عشوائية لكوادر الحركة.
ومن المناسب أن أشير (هنا) إلى أن الحركة قد طرحت في هذا المنهج كيفية أساليب العمل الجهادي بصيغ جديدة وأساليب جديدة من أبرزها عدم مد الجسور مع الدول الاستكبارية، بل تعتمد في كفاحها الثوري والرسالي على الاكتفاء الذاتي على الصعد كافة، والقبول بأي دعم من دون شروط، ومن دون الدخول في

صفقات مريبة.. كل ذلك في سبيل استقلالية العمل في التخطيط والتنفيذ والاعتماد على شعبنا وأهلنا. وأكدت القيادة بمبدأ ولاية الفقيه إلا ما خرج بالدليل في سبيل الوصول إلى المجتمع المثالي اللاتطبي والذي لا يمكن أن يقوم إلا:

بنصالات مستميتة من قبل (الكادر الثوري الملتزم) الذي يعتبر الشهادة أيديولوجيا وحياة نابضة قبل أن تكون موتاً أسوداً بطيئاً.

وبالتنسيق والتعاون مع أحزاب وقوى المعارضة العراقية وبخاصة الإسلامية منها في سبيل إسقاط النظام وإقامة دولة شورية تعددية يكون القرآن والسنة الصحيحة مصدرين أساسيين لدستورها الدائم مع الاستفادة من العصرية الحديثة المتطورة، وما يمكن أن تعطيه من ثمار لمصلحة أبناء وادي الرافدين الأشم بكل أديانه ومذاهبه وأعراقه المختلفة، وليس (هنا) في النظام التعددي الشوري ما يمنع أي فصيل من فصائل المعارضة العراقية من ممارسة حقه المكفول دستورياً خصوصاً بعد الموافقة على الخصوصية العراقية المبتعدة عن أي تأطير جامد أوقادم من خارج سياج طبيعة وقيم الأمة، والخضوع لدستور دائم وبرلمان يكفل وينظم حدود العناوين السياسية الأولية منها والثانوية، وتبادل شؤون مؤسسات السلطة ويحافظ على ثوابت البلاد على سبيل الموجبة الكلية، وجعل هذا الأمر دستوراً ملزماً، وذلك (كما اعتقد) سيرضي فصائل المعارضة العراقية الشريفة، ويقنعهم أن لا يتصرفوا كشريحة استبدادية حال وصولهم إلى السلطة، بل قوة عليا تقوم على استيعاب كل المستجدات في الساحة الإقليمية والعالمية، وتحصين الأمة من الداخل بوصفها مهددة أساساً من الحكومات الدكتاتورية والعسكرية التي لا تقبل حرية الرأي والاختلاف، واحترام المقدرات، وعدم الاعتداء عليها، والعمل من أجل وضع مشروع مستقبلي يصدر عن إرادة جماهيرية، ويضعه خبراء مختصون غير منحازين أيديولوجيا، وغير متناقضين مع ثوابت الشريعة والدين.

بيد أن القيادة انشغلت خلال السنوات الثلاث الماضية بالدرجة الأولى، وبنوع من الأولوية ببناء التجربة الكفاحية الجديدة، وتلبية حاجاتها ومتطلباتها ذات التوجهات الإسلامية، وذلك من الناحية الأمنية حتى لا تخترق الحركة من قبل الأجهزة المخابراتية.

اسرار وفاة الإمام البغدادي

س: هنالك أنباء تنقل عنكم بأن وفاة جدكم آية الله العظمى السيد محمد الحسن البغدادي لم تحصل في ظروف عادية، إنما كان للسلطة الحاكمة دور فيها مع انه يوجد انطباع لدى البعض حينذاك بأن علاقة الإمام البغدادي مع السلطة كانت أفضل من علاقة السيد محسن الحكيم معها؟..

ج: في صيف ١٩٧٠ أصابت السيد البغدادي وعكة صحية وعلى أثرها نقل إلى مستشفى اليرموك في بغداد.. وبقي فيها قرابة شهر ونيف في غيبوبة تارة، وبقظة تارة أخرى.

وبسبب هذا المرض العضال عزمنا على نقله إلى مستشفيات لندن.. وعلى هذا الأساس قدمنا طلباً إلى الجهات المختصة لحصول الرخصة بذلك، وبعد انتهاء المعاملة الأصولية والحصول على (الفيزا) غادرنا في الوقت المقرر النجف الأشرف متجهين إلى المطار الدولي، وبعد أن استقر بنا المقام في صالة الاستراحة قبل

اقلاع الطائرة بساعة ونصف صدرت الأوامر من ضابط امن المطار ب(المنع) لأسباب لا يمكن فهمها في تلك اللحظة الحرجة!..

وعلى أثر ذلك بعثنا وفداً على الفور برئاسة السيد حسام الدين الهادي إلى شبيب المالكي محافظ كربلاء المقدسة يستفسر عن الأسباب الرئيسية لمسألة المنع من المغادرة، بيد أن المالكي استغرب لهذا النبأ المفاجئ الذي لم يكن في الحسبان، وأعطى موعداً للاجتماع ب((القيادة)) ليستفسر عن ذلك.

ومهما يكن من أمر، فقد فوجئنا في اليوم التالي بزيارة المحافظ، وكان برفقته خير الله طلفاح، وفريق من الأطباء الاختصاصيين برئاسة الدكتور محسن العاني(الطبيب الخاص للرئيس العراقي أحمد حسن البكر) وبعد إجراء الفحوص الطبية الدقيقة عليه بادرنا قائلاً: اطمئنوا السيد لم يكن مصاباً ب((مرض البروستات))، وإنما هو بحاجة إلى إجراء عملية جراحية بسيطة في المجاري البولية، وبالفعل استجبنا لقوله وأدخلناه مستشفى مدينة الطب في بغداد، وأجريت له العملية على حسب ما يرام، وبعد سنة ونيف عاد المرض اليه، ودخل عدة مرات إلى مستشفيات بغداد، ويأس الأطباء ذوو الاختصاصات العلمية المختلفة.. بسبب تكلسات المجاري البولية والمضاعفات الأخرى التي أصابته نتيجة هذا المرض المزمن.

ولقد فكرنا مرة أخرى لأخذ الرخصة من الجهات المختصة لمغادرة القطر، فاجتمع السيد حسام الدين الهادي بالسيد عبد الرزاق الحبوبي محافظ كربلاء انذاك، واقترح عليه فكرة التداوي في مستشفيات أوروبا، ورحب بفكرة المغادرة أحسن ترحيب، ووعدته بإنجاز المهمة بعد التشاور مع(القيادة)، وبالفعل زارنا وقدم لنا الكتاب الرسمي بالمغادرة خارج القطر.

وفي صباح الخامس من تشرين الأول ١٩٧٢ ذهبنا إلى المطار الدولي وفوجئنا مرة ثانية ب((المنع من السفر)) فكانت هذه المفاجأة في الحقيقة صدمة في حياتنا!.. ورحت أنا شخصياً أتحدث في سري: عجيب ألم يغادر قبله السيد محسن الحكيم(ت ١٩٧٠)، وكانت بينه وبين حزب السلطة مقاطعة بسبب اتهام ولده بالتنجس لصالح الولايات المتحدة الأمريكية!..!

إذن صدق ما قاله لي بالأمس القريب الشهيد السيد ابراهيم الفاضلي صاحب تحرير مجلة العدل النجفية أن صداماً يكن الحقد الدفين على جدك حينما اجتمعت معه بالقصر الجمهوري سألته: لماذا بعد صعود السيد الحكيم إلى المأ الأعلى دعمتم مرجعية السيد الخوئي في الوقت الذي يوجد هناك مرجعان كبيران السيد البغدادي والسيد الخميني، وهما العدوان اللدودان لشاه ايران، وبخاصة أنتم تتعرضون لتحرشاته باسم شط العرب، فأجابني صدام حسين:

إن الشيخ الخوئي فيه عيوب لا يمكن أن يتحرك من خلالها ضد(الحزب والثورة).. منها: انه تركي لا فارسي، فالشاه ينظر للعنصر التركي ب((الدونية))، ومنها: انه يخاف من اقل واحد له صلة بالدولة، فكيف إذا التقى معه أعلى سلم في(القيادة)، ومنها:(...) وهذه العيوب لصالح مسيرتنا التقدمية التغييرية، يمكن تحجيمه في أي وقت إذا تحرك ضدنا، والشاه لا يتحمس له، ولا يدخل معنا في صراعات جانبية على حساب مصالحه في المنطقة.

وأما الشيخ البغدادي فمتعصب في تأييد ومساندة ممارسة طقوس الشعائر الحسينية، وتجمعات هذه المراسيم ليست لصالحنا.

وأما الشيخ الخميني: فيسعى لإسقاط الشاه، واقامة الدولة الدينية في ايران، وهي خطر علينا، وعلى الأمن القومي العربي بشكل عام.

س: ما الذي حصل بعد ذلك اي بعد خطوة المنع الثانية من السفر لهدف العلاج في الخارج؟..

ج: مهما يكن من خطورة هذا الحديث ومصادقته، ففي مساء الأول من تشرين الثاني ١٩٧٢م فوجئنا بزيارة غير مرتقبة للسيد عبد الرزاق الحبوبي محافظ كربلاء وكان برفقته حشد من المسؤولين أذكر منهم: العقيد فاروق مسؤول حزب السلطة، ومدير أمنها في المحافظة، وخضير البستاني مدير مصلحة نقل الركاب في النجف الشرف، وعبد الحسين الرفيعي عضو قيادة فرع بغداد لحزب السلطة، وعندما استقر به المجلس خاطب سماحة السيد البغدادي قائلاً: السيد الرئيس (يقصد أحمد حسن البكر) يستفسر عن صحتكم، ويدعولكم بالصحة والشفاء العاجل، وهنا لم أستطع السيطرة على أعصابي فقاطعته بانفعال:

لماذا هذا الضحك على الذقون، اخرجوا من هنا بلا قال ولا قيل، فخيمت على المجلس برهة صمت مطبق، والسيد لا ينطق بما جرى من حديث، بيد أنني فوجئت برد لم يكن في الحسبان من الشيخ عبد الهادي العصامي، قال لي: كان من المفروض أن سماحة السيد يبادر بردنا، وليس أنت (يا شيخنا) وهذا التصرف غير لائق بشأنك، ولقد دهش الحبوبي من هذا الموقف المفاجئ الذي لم يكن في الحسبان، لأن لي معه صلة قرابة ولحمة في النسب، وعلت وجهه مسحة من اصفرار ولم يجب علي موقفي!.. ولما خرج هو وحاشيته وأنا أحاسب نفسي على هذه الخطيئة السلوكية، ورحت أتساءل في داخلي ما الذي دفعني إلى ذلك، ولم أكن أصلاً قد فكرت لا فيه ولا بالرد عليه، وما هو ذنبه هو ذنب الطاغية صدام حسين، يريد عن قصد وعمد تصفية الحوزة العلمية ورموزها المتصدين بطريقته الخاصة؟!..

وكان في المجلس رهط من رجال الحوزة العلمية منهم: السيد عبد الأمير محي الدين الذي لا زال حياً ومن أئمة الجماعة والجمعة في قضاء نبل التابعة لمحافظة حلب الشهباء، وكان أيضاً السيد صادق نجف الحسيني، والشيخ جعفر آل راضي، والسيد علي الأعرجي، والشيخ حسن الخفاف، والسيد هادي كفاية، والشيخ علي عبود سميسم ولا تحضرني أسماء الآخرين.

ومن جراء ذلك التقى والدي في مساء اليوم الثاني عبد اللطيف الدارمي التميمي عضو فرقة حزب السلطة في كربلاء وهو يهدد ويوعد بـ ((الاعتقال تارة والابعاد خارج القطر تارة أخرى)) ثم ختم حديثه بوقاحة: ((ان أبا حسنين طاغية في تصرفاته، وهو في خط منحني، وعليه ألف علامة استفهام))، فردده والدي بما يستحق من اهانة وازدراء بما تفوه به.

وقد أخبرت جدي بما حدث بين الوالد والدارمي، وهو يصغي لي بكل إمعان وانتباه (رغم مرضه) لكنه لم يعلق بأي تعليق، بل التزم الصمت، ولم تظهر على وجهه إلا مسحة باهتة فيها نوع من الاستنكار، ولكن ليس فيها أي استغراب، كما أن جدي كان يتوقع مثل هذه التصرفات من رجال السلطة.

وفي أواخر شهر ذي القعدة عام ١٣٩٢م للهجرة، المصادف ليلة السادس من كانون الثاني عام ١٩٧٣ للميلاد توفي الإمام المجاهد المظلوم السيد البغدادي لأسباب غامضة بسبب اجراء العملية الجراحية الموضعية في منزله من قبل الطبيب الأخصائي (فكرت)، ولا أتذكر كنيته أو لقبه إلا انه من أصل تركماني، ومهما يكن كنا نطمئن به باعتبار والده معتقلاً لأسباب سياسية، وعلى أثرها صدر الحكم عليه بالسجن لمدة عشر

سنوات إلا انه اطلق سراحه بعد فترة ليست بطويلة، واعتقد(والله العالم) انه كلف من قبل الأجهزة الأمنية لارتكاب هذه الجريمة التي لا تغتفر((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ)) صدق الله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى الله المشتكى ومنه نتمسك بدينه القويم.

انتفاضة بلا قيادة

س: هناك تساؤلات مشروعة عن دورك في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م كحدث مفصلي خطير في تاريخ العراق المعاصر؟.. ألم تكن تلك فرصة لأن تقودوا الأحداث في ظل غياب قيادة الخارج والداخل، لا سيما في ظل خلفية علاقتكم مع الإمام الخميني عندما كان في العراق ونهجه الثوري؟..

ج: انسحبت في اليوم الثالث من الانتفاضة، وأمرت أشقائي في مسانبتها، وعدم الانسحاب منها، وقد استشهد الأول في أثناء احتلال النجف وسقوطها، وهرب الثاني إلى إيران. والسبب الأساس في انسحابي من قيادة الانتفاضة لأني وجدت غياب المعارضة الوطنية والإسلامية في الساحة العراقية، وانهازم المؤسسة الدينية بالنجف الأشرف، وكان علي رأس قيادة هذه المؤسسة هو السيد الأستاذ الطاعن في السن أبو القاسم الخوئي، وكان القطب الرحي في توجيه مرجعيته ولده محمد تقي الخوئي بل والممسك بمؤسسات أبيه في حياته وفي مماته، وفي عقيدتي ان هذه الاجابة المختزلة لا تكفي، بل لا بد من التأكيد على شرح عوامل الانتكاسة الشعبانية حتى تنكشف الحقيقة التاريخية لأجيالنا القادمة.

في عصر يوم الاثنين في الخامس عشر من شعبان عام ١٤١١ هـ - ١٩٩١م بعد سماع نبأ شرارة الانتفاضة الشعبية في البصرة الفيحاء ثار أبناء النجف، وهجموا على المؤسسات الأمنية والحزبية لاحتلالها، وحدثت الصدامات المسلحة بين الطرفين.

وفي اليوم الثاني كانت المعارك مستمرة، وكان الصمت المطبق من عموم الحوزة الدينية ورموزها، فكان للشهيد الصدر الثاني وأنا(ونعوذ بالله من كلمة أنا) الدور المميز في دعم الانتفاضة، فذهب السيد الشهيد بصحبة أحد كوادرنا المجاهدين إلى بيت السيد الخوئي فالتقى مع ولده محمد تقي، وكان جالساً إلى جنبه السيد عز الدين بحر العلوم معاتباً لهما لماذا هذا السكوت، وهذا الصمت المطبق، وقد دخلت الانتفاضة يومها الثاني، وهي تعد انعطافة تاريخية كبرى في تاريخ العراق الحديث، فكان محمد تقي منفعلاً إلى أبعد الحدود، ويصرخ كيف تطلب منا التحرك، وزعيم الحوزة السيد مسلم العذاري!.. فرد السيد الشهيد قائلاً: هذا شاب متدين وهو أول من احتل الصحن الحيدري الشريف، وسيطر على مكرفون(مذباع) مأذنة صحن الإمام علي(عليه السلام) وأصدر البيانات والنداءات ضد أزام النظام، ثم هذا الشاب يحترم باجلال مرجعية السيد الوالد، يجب عليك أن تسجل موقفاً اسلامياً جريئاً، ونجتمع(أنا وأنت) مع السيد الوالد، رفض الاقتراح بحجة ان الخوئي مريض، ولا يمكن بحال اللقاء معه، وبعد ذلك انبرى السيد عز الدين بحر العلوم قائلاً: هل تتصور(يا أبا مصطفى) ان صدام حسين يسقط حكمه!.. أما تسمع الإذاعة لا زالت تبث برامجها الاعتيادية، ولم يحدث شيء في بغداد؟!.. رد السيد الشهيد صارخاً: يجب على السيد الخوئي أن يصدر فتوى جهادية بوصفه زعيم الطائفة الشيعية، وإلا سوف تندمون بعد ذلك، بيد انه استخف برأيه، ووقف موقفاً سلبياً، فخرج

السيد الشهيد منزعجاً، ولم يحصل على موقف موحد، ولم يجتمع مع السيد الخوئي بحجة انه مريض، فذهب إلى منزله، وكتب بياناً، وقرأ البيان بنفسه في اليوم الثالث في الصحن الحيدري الشريف، ثم طلب منه أخي السيد حسين الحسيني البغدادي التصدي لقيادة الانتفاضة، لأن السيد الأخ الأكبر (يقصد أنا) انسحب من المعركة لأسباب يمكن فهمها يا أبا مصطفي، فقال له بالحرف الواحد:

((أنا أخاف أن يقتلني محمد تقي الخوئي إذا تصدبت لقيادة الانتفاضة، لأن والده هو المرجع الأعلى حالياً))..

ولما خرج السيد الشهيد من غرفة القيادة امسك اخي المذيع وصرخ هاتفاً: أين انتم ايها القابعون في بيوتكم؟!.. أين انتم يا رموز الحوزة الدينية من آل فلان وفلان؟!.. جلستم ولم تحركوا ضمائرکم والانتفاضة الشعبية مشتعلة في طول البلاد وعرضها ضد أخطر طاغية في التاريخ، وعلى أثر هذا الموقف التقى السيد حسن بحر العلوم مع أخي معاتباً له: نحن جننا ووقفنا على سطح الكشوانية وحيننا الجماهير المنتفضة.. قال له هذا لا يكفي، يجب ان تحدد المرجعية موقفاً ثورياً، وتعطي فتوى في الجهاد لمقاتلة العفالة في كل مكان، وإلا سوف تنقلب المعادلة السياسية، وتنتكس الانتفاضة.

بيد ان الشعب كان بين امرين فمن جهة كان يستغيث ويصرخ ((سيأتي عما قريب القائد العسكري لفيلق بدر ويسقط النظام، ومن جهة اخرى كان يرونوا بنظره صوب المرجعية (الدينية) مترقباً فتواها بهذا الشأن.

وفي اليوم السابع من الانتفاضة برزت اشاعات ما أنزل الله بها من سلطان لقد مات صدام حسين، فاطلق المقاتلون الرصاص الحي بكثافة إلى أعالي السماء ابتهاجاً لخلّاص العراق من هذا الطاغية المستبد، وبعد فترة زمنية ليست بطويلة تبين انها عملية استكشاف كثافة المقاتلين ومعرفة مقراتهم في المحافظة.

ومن هنا فوجئوا بقصف صاروخي مكثف على مواقع المقاتلين حتى الصباح، ثم بعد ذلك زحف الجيش نحو المدينة واصبح على مشارفها، بيد ان هذا التحرك لم يكن عفويّاً، بل الإدارة الأميركية أعطت لصنيعتها الضوء الأخضر للقضاء على الانتفاضة بوصفها شيعة اسلامية.

من حقنا ان نتساءل: لماذا لم يتحرك فيلق بدر (العسكري) لاجتياح العراق ومناصرة الانتفاضة المتصاعدة؟!..

أليس خوفاً من التحالف الثلاثيني ان يتجه الى معاقبة الجمهورية الإسلامية بحجة انها تتدخل في شؤون العراق وسيادته؟! ألم يكن من حق الايرانيين ان لا يتحركوا خوفاً على أمنهم القومي الإسلامي؟!..

الا يجب علينا أن نوجه اللوم والعتاب الى المجلس الأعلى بوصفه لم يتحرك، ولم يفكر حتى بخطة طوارئ اثناء القصف الأميركي على وادي الرافدين؟!..

ومهما يكن من هذه التساؤلات المشيرة حاول بعض قادة الجيش العراقي الاجتماع مع المرحوم السيد الخوئي في ساعة متأخرة من الليل في سبيل اقناعه بدعم الانتفاضة من خلال اصدار فتوى شرعية تحث الشعب العراقي على الوحدة الوطنية، وشجب الشعارات الطائفية، وتوجب الجهاد المسلح لاسقاط النظام، والتوجه إلى العاصمة قبل ان يفوت الأوان علينا، فلم يتكلم السيد، أخذته الرهبة والخوف كأنما فوق رأسه صدام حسين!!.. فمسك بيده (السبحه السوداء) فاستخار الله بوصفه المطلق، وقال ان الاستخارة لا تساعد على ما تطلبونه مني!.. بيد أنني اقترح أن أشكل مجلساً يدير شؤون البلاد، ويطالب الشعب بالحفاظ على

ممتلكات الدولة، وعدم قتل(الناس)، ودفن جثث القتلى منهم حتى يفرج الله هذه الغمة عن هذه الأمة، وقد أيد هذا الاقتراح جهاز السيد الخوئي تأييداً مطلقاً، وقد عارضه العسكريون لأسباب يمكن فهمها لكل من لا يمتلك رؤى لوجستية وعسكرية.

أقول بفاصلة مختزلة السيد الخوئي تلتف حوله بطانة معروفة، لا تفكر بأي تحرك في سبيل انقاذ شعبنا وأهلنا من محنته البعض منهم مرتبط بفاضل البراك وسعاوي(الأخ غير الشقيق لصادق حسين) وعبد المجيد، مضافاً إلى ذلك أن السيد بالذات لا يمتلك رؤى سياسية، ولم يقرأ صحيفة سياسية، ولم يستمع إلى اذاعة عربية أو إسلامية أجنبية، بل كان شغله الشاغل تدريس الفقه والأصول، المظلم واستلام الزكوات والأخماس والصدقات، يوزع بعضها على الحوزات(الدينية)، والبعض الآخر يذهب إلى جيوب الأبناء والحواشي!!..

ففي ظل هذه البطانة، وهذا الاجتماع الفاشل كان صدمةً وجرحاً نازفاً من قبل قادة الجيش الثائر على صدام حسين، وكانوا يبنون آمالاً كبيرة على السيد الخوئي ليستجيب لخطتهم العسكرية وإذا بهم يفاجئوا بان السيد لا يحرك ساكناً!.. فلا هو أعطى فتوى جهادية ضد الدكتاتور واسقاط حكمه، ولا هو طالب المعنيين بوقف إطلاق النار والتفاوض معهم في عدم قصف مدينة النجف وكربلاء، والذي راح ضحيته الآلاف المؤلفة من الشهداء الأبرار، ولا هو اتصل بالعناصر الثورية التي كانت تخاف أن تنصدي لقيادة الانتفاضة، لأن الأمة كانت تقدر المرجعية.

هذا ويتزايد بي الألم المرير والخوف من ان أرى الخوئي(الابن) كان عضو ارتباط بين(القيادة العقلية) وبين والده الطاعن في السن بوصفه حاقداً على كل من دعم مرجعية السيد الخميني(رحمه الله) في العراق.

من انتفاضة الإمام الخميني إلى ثورته

س: عرفنا أخيراً سبب انسحابكم من قيادة انتفاضة شعبان لانكم تدعون إلى مرجعية الإمام الخميني(رض) بوجود مرجعية السيد الخوئي، إذن من حقنا ان نسأل: ما هو دوركم التاريخي في الانتفاضتين التي قادها السيد الخميني ضد شاه إيران؟..

ج: كان الإمام البغدادي أول من أيد وساند انتفاضة الخامس من حزيران(خرداد) في إيران عام ١٩٦٣، وكان موقفي مؤيداً لثورة الحادي عشر من شباط(بهمن) عام ١٩٧٩ بقيادة السيد روح الله الموسوي الخميني(ت ١٤٠٩).

ففي صيف ١٩٦٣ أبرق السيد البغدادي البرقية الإسلامية الشديدة اللهجة إلى طاغية إيران محمد رضا بهلوي، وكان لهذه البادرة الخالدة أثرها الفاعل في الساحة العربية والإسلامية، وحين تم إصدارها بمنشورات موزعة في انحاء القطر أوكلت لي مهمة الإشراف الفعلي على توزيعها في بغداد وضواحيها، وكان بصحبي الشهيد السيد ابراهيم الفاضلي، والشيخ محمد سعيد الغيبي، وثلة من الشباب المسلم، وقد احتجزونا في مقر الحرس القومي في الكاظمية، وكان الفاضلي يهتف: ألم تروا الإجازة الممنوحة في ذيل المنشور؟!.. فلم يلتفت مسؤول الحرس القومي إليه، واستمر بمهمته يستفسر من الجهات المختصة للتأكد من السياسة الخارجية للحزب والدولة تجاه هذه البرقية الثورية، فكان الجواب على الفور: اتركوهم وشأنهم، وما نحن والشاه

عدوالعرب(وهناك وثائق نحتفظ بها كتبت في ذلك).

وفي صيف ١٩٦٩م فوجئ السيد البغدادي بزيارة عبد الفتاح الياسين التكريتي احد أعضاء مكتب العلاقات العامة(المخابرات العامة) بنفسه على غير موعد وعلى غير سابقة، وقد احتل أعلى المناصب الحكومية والحزبية أبرزها: وزير شؤون الحكم المحلي، وعضو قيادة قطر العراق، وجلس وكان برفقته عبد الحسين الرفياعي مسؤول فرقة حزب السلطة بالنجف الأشرف، والسيد حسين عباس الكليدار سادن الروضة الحيدرية، وتحديث الأخير بصوت منخفض قائلاً:

حصل بعض التوتر بين(القيادة السياسية للحزب والثورة) وبين السيد روح الله الموسوي الخميني بسبب موقفه غير الواضح من أزمة شط العرب بين العراق وايران، لذلك ارتأت القيادة ان تنبه المراجع المتصددين، وفي مقدمتهم سماحتكم أن لا تقفوا موقفاً سلبياً حين يتم ابعاده في الوقت المناسب خارج القطر بموجب قرار اتخذ الأسبوع الماضي بوصفه لاجئاً سياسياً غير مرغوب به.

فأجابه السيد البغدادي متسائلاً بامتعاض: من هم المراجع الذي اتصلتم، أوستصلون بهم، أليس البعض - وكما أنتم تعلمون- غدت برانياتهم(يقصد مكاتبهم) ممثلات سفارات بلا سفير عن طريق جهازهم الإداري لمساندة سياسة الشاه الطاغية؟!..

ألم يكن البعض منهم يباركون هذه الخطوة اللاشرعية للخلاص من وجوده الجهادي والمرجعي؟!..
أوليس تنفيذ هذا القرار الرسمي المرتقب سوف يحدث انتفاضة(على ما أعتقد) لا تقهر في طول البلاد وعرضها؟!..

أم ترانا نسكت لا نتحرك، لا أنا أول من يساندها قولاً وفعلاً مهما كلف الأمر من توضيحات في سبيله؟!..
وفي اليوم الثاني ذهبت إلى منزل السيد الخميني، وكان بصحبي الشيخ نصر الله الخلخالي، والسيد محمد رضا الأشكوري صديقي الذي أحبه على طول الخط منذ ان عرفته، وهوسبط السيد أبي الحسن الأصفهاني..
وعندما التقيت السيد الخميني وأخبرته بما جرى من حديث المؤامرة، وأنا أشعر بحزن ثقيل يترسب في أعماق روحي ونفسي لما وصلت إليه المؤسسة الدينية من تسيب وضياع واختراق، ولكن الذي ادهشني هوأن ما رأيته منه(رضوان الله عليه) لم يكتثر ولم يضطرب بما سمع، بيد أنه أشار على ولده السيد مصطفى لزيارة السيد البغدادي وتقديم الشكر الجزيل له على موقفه الرسالي، وكان بصحبه الشيخ حبيب آراكي، والسيد كاظم كريمي، والشيخ الدكتور محمد صادقي طهراني.

ومن هذا المنطلق، ومن باب الشيء بالشيء يذكر ان الشيخ صادقي عرض عليه علي رضا المدير العام لمكتب العلاقات العامة إدارة إذاعة موجهة ب((اللغة الفارسية)) تنطق باسم المعارضة الايرانية الاسلامية تدمر الشاه إعلامياً، وتقارعه عبر الأثير، بيد أنه رفض التنسيق والتعاون راداً عليه بتصريح جريء مفاده:((أنتم عفاlette صليبيون والشاه وحزبه بهائيون والكفر كله ملة واحدة)).

وبعد ذلك هيأت له مجلساً جماهيرياً في مسجد الكوفة بعد أن وزعت له منشوراً باسم:((جماعة الحوزة العلمية في النجف الأشرف)) يحث أبناء مدينة النجف الغيارى لحضور هذا المجلس، وألقى كلمة ارتجالية حماسية ثورية في حرب الاستعمار والصهيونية والجاسوسية العالمية بقيادة شرطي الخليج محمد رضا بهلوي المقبور.

وبعد فترة زمنية ليست بطويلة نسقنا مع الشيخ محمد مهدي الخالصي الذي كاد يدفع حياته على يد العملاء في الغربية، وتخلص بالعناية الإلهية، وهو مشن بالجراح ليعافى ويتشافى، وليدخل الحياة من جديد، ويعاود العمل لإسقاط النظام الحاكم.

المهم هياً للشيخ صادقي طهراني مجلساً حاشداً من الناس في الصحن الكاظمي، وألقى كلمة منقطعة النظر كشف فيها خطورة قانون (كابتي لاسيون) اللا إسلامي الذي أصدره شاه ايران عام ١٩٦٣م باسم: (الثورة البيضاء) وعلى أثره حدثت انتفاضة خرداد الإسلامية بقيادة السيد الخميني.

كان استشهاد الابن الأكبر للإمام السيد مصطفى الخميني يوم ٢٣ / ١٠ / ١٩٧٧ م وإقامة مراسم تأبين عظيمة له في ايران يمثلان نقطة البدء في تأجيج نار الثورة من جديد في جسد الحوزات الدينية، وتحرك المجتمع المؤمن في ايران، أما الإمام الخميني فانه أدهش الجميع عندما اعتبر أن وفاة ابنه الذي كان يمثل جميع آماله بانه أطفاف إلهية بعدها قام النظام الملكي بنشر مقالة في إحدى الصحف الرسمية نال فيها من شخصية الإمام والتحامل عليه مما أدى إلى تحرك شعبي عارم في مدينة قم المقدسة يوم ٩ / ١ / ١٩٧٨م استشهد خلاله عدد من طلاب العلوم الدينية الثوريين، ودفعت هذه الحادثة أهالي مدينة قم إلى التحرك من جديد، وانتشر الغضب العارم في أنحاء البلاد، واستمرت مراسم الثالث والسابع والأربعين لكل حادثة استشهاد وبشكل متواصل حيث وقعت أحداث تبريز ويزد وجهرم وشيراز واصفهان وطهران، لتدفع كل مناسبة بالإمام الخميني إلى نداء يسجل على أشرطة التسجيل، ويتم توزيع الأشرطة التي يدعوفها الناس إلى الاستقامة والثبات والاستمرار في الثورة حتى اسقاط السلطة الملكية الجائرة واقامة الحكومة الإسلامية حيث كان الأنصار والاتباع يتلقفون هذه الأشرطة ويستنسخونها وينشرونها في مختلف أنحاء البلاد، ولم يتمكن الملك من اطفاء شعلة الثورة رغم ما ارتكبه من مجازر وحشية ضد الشعب، ورغم اعلانه الأحكام العرفية في إحدى عشرة مدينة، واستبداله لرئيس الوزراء، وتغيير المدراء الكبار، بل استمرت الثورة بالاتساع حيث ان كل مناورة وحيلة سياسية أو عسكرية كان الملك يقوم بها.. كان الإمام الخميني يواجهها ببيان ونداء يفضح فيه أهداف الملك، ويحدد الإمام الخطوات اللازمة لإفشال تلك الحيل، مضافاً إلى ذلك، فان الإمام الخميني أمر بالاضراب العام لأهالي النجف الأشرف، وأكد على علمائها وحوزاتها العلمية من خلال ترك صلاة الجمعة والجماعة، وتعطيل الدروس الحوزوية لمدة أسبوعين، وأقول للتاريخ، والتاريخ لا يرحم: ان حوزة النجف والرموز المتصدية بالذات لم تستجب لتنفيذ هذا الأمر!!.. وكنت أنا الوحيد الذي نفذ أمر الإمام، وعلى أثر هذا الموقف بعث السيد الإمام القائد جهازه الإداري وفي مقدمتهم: الشهيد الشيخ جعفر باقر محمودي، والشيخ نصر الله الخليلي، والسيد محمد رضا الأشكوري يقدمون الشكر الجزيل على تسجيل هذا الموقف الواضح.

ومن أبرز الذين لم يستجيبوا لهذه المبادرة السيد محمد علي الحمامي، والسيد يوسف الحكيم، والسيد جعفر المرعشي، والسيد نصر الله المستنبت، والسيد حسين بحر العلوم، والسيد محمد الشاهرودي النجفي، والسيد أبو القاسم الخوئي، والسيد هاشم محمد جمال الهاشمي، والشيخ محمد زين العابدين، والشيخ محمد تقى آل راضي المرجع الفقيه الضليع الذي فاتحته أنا شخصياً بوصفه أستاذاً أن يستجيب لهذا النداء، بيد أنه اعتذر على مضض خوفاً من التشهير والتفريع، وكثير غيرهم من أئمة جماعة ومدرسين.

بالإضافة إلى ذلك اشتركت بتظاهرة حاشدة بعد انتهاء فريضة صلاة المغرب والعشاء مساء يوم انتصار

الثورة الإسلامية الإيرانية المصادف للثاني عشر من شباط عام ١٩٧٩ التي طوت أقدم امبراطورية شهدها التاريخ إذ امتدت جذورها إلى قرابة ألفين وخمسمائة عام.

ومن هذا التاريخ العظيم إلى يوم خروجي قهراً من عراق المقدسات لم أحضر اجتماعاً دينياً. أو مؤتمراً اسلامياً، ولم أبرق برقية أو مقابلة مرئية أو مسموعة أو مقروءة في حرب الجمهورية الاسلامية وقائدها الرمز السيد الخميني، إلا باستثناء الندوة الجماهيرية الاولى المنعقدة في الصحن الحيدري الشريف عام ١٩٨٢م بحجة أن ايران دولة باغية بوصفها لم ترضخ لقرارات وتوصيات المؤتمر الاسلامي الشعبي الذي دعا إلى وقف اطلاق النار دون قيد وشرط، والجلوس على مائدة المفاوضات لحل الخلافات بين البلدين الجارين، وكذا الندوة(العلمية) الثانية التي عقدت في رواق حرم الإمام علي(عليه السلام) ١٩٨٥م بمناسبة ما يسمى بالتعاون العسكري الاستراتيجي بين ايران واسرائيل!..

وقد استجاب رموز الحوزة العلمية تحت طائلة التهديد والوعيد لحضور الندوة الأولى، من أمثال: الشيخ محمد تقي آل راضي، والسيد محمد علي الحمامي، والسيد علاء الدين، وشقيقه عز الدين بحر العلوم، والسيد محمد مهدي الخرسان، والسيد محمد كالنتر، والسيد حسين بحر العلوم، والشيخ محمد ابراهيم الكرياسي، والسيد محمد الصدر، والسيد يوسف الحكيم وجدته في هذه الندوة مطأطأ رأسه إلى الأرض كأنه ساجد عليها، والذي أحب بفاصلة مختزلة أن اتحدث عنه فهو: عفيف اللسان مع خصومه، وقليل الكلام مع أصدقائه، ولم يرشح نفسه للمرجعية بعد أن هتفت الجماهير بتقليده في تشييع والده، وهو بإمكانه أن يتقمصها كما تقمصها غيره من أدعياء الاجتهاد(المطلق) وهم لا يمتلكون هذه المرتبة، ولا يستحقون هذا المنصب الخطير، بل شراب الخمر أحسن منهم كما صرح المحقق كاشف الغطاء في سفينته الفقهية، هذه هي الصورة واطارها، وهذا هو الحكيم، وهذا هو الإنسان وكفى؟

س: المهم أنك حضرت الندوة فيما بعد كالأخرين الذين حضروها؟..

ج: كان حضوري لهذه الندوة قسرياً، إذ عندما كنت خارجاً إلى بغداد، ألقى القبض عليّ صباحاً في كراج بغداد(علاوي الحلة).. واقتادوني في سيارة كانت من صنف(لاندكروز) إلى جهة مجهولة معصوب العينين، وبقيت لمدة واحد وعشرين ساعة لا أعلم في أي معتقل أنا، وسمعت ضوضاء وأقداماً تدب في الدهليز، وتقف عند باب زنزاني، فتساءلت في سري: ماذا يريدون مني، وهل سيأخذوني إلى ضابط التحقيق(ولا يعني التحقيق في لغة العفالة غير الضرب بالعصي الغليظة، وبالكيبلات الكهربائية، والصعق بالكهرباء، والكي بالكاوية الكهربائية والتعليق بالصنارة، والحرق بالتيزاب) ويأخذ الضمانات مني لحضور هذه الندوة المعادية للجمهورية الإسلامية في إيران؟!.. إذن لماذا يؤخرونني هذه الساعات الطوال.. أيردون سحق أعصابي، أم إهانة كرامتي، ومن ثم يملون عليّ ما تشتهي أنفسهم؟!..

وإذا فتحت باب الزنزانية، ودخل بعض النور عليها، وصوت من وراء الباب: أخرج يا شيخ.. فخرجت، وتقدم رجل مسلح برشاش، فتأبط ذراعي، وقادني إلى غرفة فيها شخص عندما صرت مائلاً أمامه أصابته رهبة وصمت مطبق ينظر نحوي تارة، ويطأطئ رأسه تارة أخرى، وكأنه لا يريد أن أعرفه، وسبق أن رأيته، والتقيت به عند الإمام المجاهد السيد البغدادي في مكتبته بصحبة محافظ كربلاء السيد علي وتوت، وانشغل تفكيري حوله من هو.. وما هو مركزه؟!..(حينذاك) ولكن ذاكرتي خانتني(الآن) فلم أعرفه.. تكلم الرجل وهو يتصنع الأدب

واللطف والنصح في محاولة للتظاهر بالتعاطف معي بأني سألقي عذاباً شديداً لا يستحق هذا العناد، لا سيما وأن أكثرية العلماء ورجال الحوزة استجابوا إلى حضور الندوة (الجماهيرية) وفي مقدمتهم طلاب الشيخ الخوئي، وجهازه الإداري (الحاشية)!!... ثم لا تنسى جدك الإمام الشيخ البغدادي فهو مشهور بمواقفه الوطنية، ومن أركان ثورة العشرين، وكان المحور الأساسي لمقاومة المجلس التأسيسي في عهد الملك فيصل الأول، وقبلها اشترك في حرب العراق لصد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م، وكان مرجعاً غيوراً على بلده.. لماذا لا تكون على نهجه وسيرته العطرة؟!.. أتتصور ان (الفرس) سيعطوك موقِعاً لائقاً بشأنك يجب أن تستجيب لأي دعوة تدعى إليها؟! والإ... ثم بعد ذلك اقتادوني إلى غرفة صغيرة فيها ثلاثة يحتفظ بها أجساد ميتة تحت سياط التعذيب، وكان هذا الاحتجاز في هذه الغرفة الملعونة هونوع من أنواع الإرهاب النفسي من دون أن أتعرض لأي تعذيب تماماً، كما كان الحال في المرة السابقة.

وفي اليوم الثاني بعد الساعة الثانية والنصف ظهراً نقلوني بسيارة خاصة مغلقة متجهة نحو مرحلة جديدة مجهولة المصير.. وبقيت في هذه السيارة لا يكلمني ضابط المخابرات الذي جلس إلى جنبي من جهة اليمين، ومع ذلك كان الصمت المطبق مرهقاً ومطبقاً ومؤلماً لطول الطريق، وفي الأثناء وقفت السيارة، ورفع العصابتة عن عيني، وأنزلني من السيارة، وقادني إلى قصر فخم قرب دائرة البريد والبرق، وكان يوجد فيها مدير دائرة المخابرات الذي لا أتذكر اسمه، فاستقبلني احسن استقبال مع الاعتذارات الحارة عن كل ما حدث، ثم بعد فترة استصحبني بسيارته الخاصة إلى انعقاد الندوة في الصحن الحيدري الشريف، وكان في مطلع باب الصحن الرئيسية حشد من المسؤولين، وتقدم محمود شعبان مدير دائرة الأوقاف والشؤون الدينية، لأجل أن يستصحبني إلى مكان خاص، إلا انني ذهبت إلى وسط الجماهير المحتشدة بعيداً عن الأضواء الكاشفة، أما عن بعض زملائي في الحوزة الذين كانوا يتصدرون الندوة الجماهيرية حيال المنصة التي كان الجالسون عليها السيد حسين بحر العلوم، والشهيد السيد محمد الصدر، والشيخ عبد الحسن الغراوي، والشيخ أحمد كاظم البهادلي.. بيد أن نجم مزهر جريوع وشعبة حزب السلطة، وقف على رأسي يخاطبني بصوت خافت: أرجو يا سماحة الخال أن تكون إلى جنب زملائك في صدر المجلس، فاعتذرت بذلك، فأصر عليّ بناءً على رغبة ممثل السيد الرئيس (القائد) صدام حسين الرفيق عبد الغني عبد الغفور، فأجبتة بجفاء: أتم تريدون الحضور، فقد استجبنا بـ ((القهر والقوة)) وكفى المؤمنين القتال، وبقيت مصراً على رأبي لا أحرك ساكناً. وفي أثناء الكلمات التي تندد بالسياسة الإسلامية الإيرانية الرامية بعدم الرضوخ لقرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامي الشعبي الرامية لوقف اطلاق النار، وحل الخلافات بين الجانبين، تقاطر السماء ماءً غزيراً علينا، فانكسرت الندوة اللاشعورية، وولى الناس يهتفون، والعلماء يتمتمون بـ ((إنا لله وإنا إليه راجعون))!!.. وأنا رحت في سري أقول: إذا استمرت المؤسسة الدينية على هذا النهج الاستسلامي الدليل فسوف يغدومصيرها الفاجع (على يد العفالقطة) كمصير مؤسسة رجال الدين في أوروبا (حينذاك) أبان النهضة الحديثة، بل يغدومصيرها أنعس الخلائق، وأسوأها حظاً، وأحطها منزلة، وأرذلها مستقبلاً، وأشدها بلاءً، وأعظمها شقاءً، تلك هي الحقيقة الواقعة لما تحويه هذه المؤسسة الفاسدة.. وقلة قليلة تتمتع بالنقاء، والطهر، والتقوى، والعمل الصالح، فالأجدر بها أن تهاجر، ولا تلتصق بالظالمين باسم (التقية الشرعية).

صراع مع المؤتمر الإسلامي الشعبي

س: وماذا عن المؤتمر الإسلامي الشعبي الذي كان النظام يعقده سنوياً، ويرغم الفقهاء على حضوره؟..
ج: إنني عارضت النظام الصدامي، ولم أحضر احتفالاته ومؤتمراته وندواته التي تعقد زوراً وبهتاناً باسم (الإسلام والوطنية).. واستجوبت تارة، وهددت تارة أخرى بسبب رفضي المطلق لعدم حضور تلك المراسيم، وبخاصة عدم تلبية الدعوة الرسمية الموجهة اليّ بحضور المؤتمر الإسلامي الشعبي المنعقد في بغداد في ربيع ١٩٨٢ برئاسة الشيخ علي كاشف الغطاء الأمين العام للمؤتمر، وتحت رعاية صدام حسين.
وقد حاول اقناعي السيد عبد الرزاق الحيوبي عضوما يسمى بـ((المجلس الوطني))، والمبعوث الشخصي من قبل عبد الله فاضل السامرائي وزير الأوقاف والشؤون الدينية، وقدم باسمه المصحف الشريف هدية مكتوبة بخطه، ثم بعد ذلك طرح رأيه بضرورة الاستجابة لحضور المؤتمر (فقط) واللقاء مع (السيد الرئيس)، وعدم الحضور في جلساته، وعدم التوقيع على مقرراته وتوصياته، وبالتالي تقديم هدية سيارة من أحدث الموديلات (لا أذكر ماركتها أو ثمنها) حتى لو كانت من خلف الأبواب المغلقة.. وعلى هذا المبدأ الثابت استجاب زملاؤك إلى ذلك ومنهم السيد محمد مهدي الخرسان، والسيد حسين بحر العلوم، وكان نص هذا الحديث بحضور الشيخ عبد العالي محمد حسن المظفر، والشهيد الحاج محمد علي نصار، والشهيد فيصل الحسيني البغدادي، والأخير كان في حينها مختفياً عندي بسبب رفضه لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية للعدوان على إيران الإسلام.

فكان جوابي لأبي آلاء الحيوبي: انه لا يمكن تلبية مثل هذه الدعوة، والجلوس مع قتلة الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) اطلاقاً، وبمجرد أن تفوهت بهذه الكلمة خرج المظفر من الجلسة، وارتبك الحيوبي معترضاً في منتهى الأدب: لقد اخرجت موقفي من هذا التصريح، وبخاصة بحضور هذا الشخص (...). ولعلي لا أبالغ في القول أنه كان في مقدور الحيوبي (اعتقالي) إلا أن تربيته وقيمه الأخلاقية لا تتسع لمثل هذا التطع الإجرامي، على الرغم من نظرية المؤامرة، واطروحة تواطؤ الآخرين المخالفين كانت تستقر في عمق عقلي السياسي.

ومهما يكن من هذا كله، لقد هجم عليّ في مساء اليوم الثاني بلا إذن مسبق عزيز صالح النومان عضوفرع حزب السلطة (حينذاك) وبصحبه العقيد سروح الرمادي (أبومخلص) مدير أمن النجف، والأخير يهدد ويوعد بالويل والشبور على كل من لا يشترك في المؤتمر مهما كان مركزه الديني في العراق.

تحدثت الشيء الكثير معهم عن طبيعة المجتمع العراقي، وكيف يكون موقفه معادياً لكل من يستجيب بمثل هذه المناسبات.. سواء كانت المبادرة من دولة تقدمية أورجعية، والشاهد على ما أقول موقفهم الشهير ضد المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي المنعقد في الخمسينيات في مدينة بحدون اللبنانية بحجة مواجهة الخطر الشيوعي، وعلى أثر ذلك تصدى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الفقيه المصلح الجريء ضد المؤتمر، وصادر رسالة مفتوحة مكثفة إلى المؤتمرين يفضح فيه خطورة الاستكبار الأميركي والبريطاني سواء بسواء، وقال بالحرف الواحد: هناك فرق كبير، ومسافة طويلة بين مواجهة الخطر الشيوعي الأحمر من جهة، ومواجهة الخطر الصهيوني الاستيطاني من جهة أخرى.

وعندما أحس هؤلاء من خلال حديثي أنني لا أرغب بالحضور بادرني ابن النومان صارخاً بوقاحة وغضب: أنت ومن معك تلعبون بالنار.. ويجب أن تستجيبوا لتلبية هذه الدعوة، وإلا سيكون مصيركم كمصير باقر الصدر المقبور!!.. وبعد ذلك غادروا البيت.

بقيت صامتاً لا أجيّب على هذا الاستفزاز الذي وجه لي، وبقيت لائماً بهذا الصمت والهدوء المطبق وسيطاً أكثر بلاغة من الرد عليه، ووضحت صورة هؤلاء المجرمين أمامي، ورحت في سري أترحم على المرجع المفكر الشهيد الخالد السيد الصدر، وإذا بصوت في داخلي يصرخ بي أنت مسكين أنه قد انتهى الآن، وتحرر من قيود الدنيا الفانية، وظلم الإنسان للإنسان واستغلال الإنسان للإنسان، ووفد لملاقاة ربه تعالى نقي الثوب، ومن العجيب الغريب ان نشاهد(اليوم) غيره ممن يدعي أنه من رموز مدرسته يطارد وراء الزعامة التضليلية، وترك في أيام النضال السليبي مشروع القيادة الجماعية الرباعية النائية بسبب حب الأنا الإبليسية والفرعونية، والسير الحثيث نحوتمزيق فصائل الحركة الإسلامية، وكسب باسم مدرسته الجهادية الإسلامية الملايين من الدولارات، إذ هو وأنصاره سيتركوها لغيرهم ينعمون بها، ويتحملون هم أوزارها في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي مساء اليوم الثالث كنت عند السيد حسين بحر العلوم، قلت له: هل اجتمع معك السيد الحبوبى مبعوثاً من قبل وزير الأوقاف، نفى الاجتماع معه، بل أردف قائلاً: زارني أبو مخلص مدير أمن النجف وهددني إذا لم أحضر المؤتمر، فماذا كان موقفك من هذا التهديد؟.. فأكد لي بتنفيذ طلبه مهما تثار عليّ الشكوك والشبهات من قبل انصار الجمهورية الايرانية الاسلامية في العراق وخارجه، لأنني أخاف من القتل المحتوم. إلا أنني وضعت أمامه كل توقعاتي، وحرصت أن أكون واقعياً موضوعياً، وذكرته الاستعانة بأستاذنا الخوئي بحجة أنه لا يقبل التفريط بحوزته العلمية، لأن حضورك سيفتح باباً انتهازياً، فلا بد من وحدة الموقف داخل الحوزة النجفية وزعيمها كما كنت تسميه بالأمس القريب، فأجابني بلا تردد: بأن الخوئي لم يكن زعيماً مطاعاً، ولم يكن مهاباً عند الحكومة حتى أستعين به.

ذهبت إلى أبعد من ذلك مع بحر العلوم، وقلت له صراحة كيف تواجه المتدينين من الحركة الإسلامية الذين كانوا أعضاء في مكتبة العلمين العامة التي لا زلت أنت مديرها.. وهم الآن بين مقتول ومعتقل ومشرد ومختفٍ، وكنت تحثهم من خلف الأبواب المغلقة ضد الطاغوت، وتعد أنت السبب الأول والأخير بكل ما جرى عليهم من ويلات وفجائع ونكبات وفي مقدمتهم أعضاء المكتبة كالشهيد الشيخ عبد الجبار فرج الله، والشيخ مهدي العطار.

لم يقتنع بحر العلوم بهذه اللغة، وبقي مصرّاً على رأيه، واستمر بتأييد صدام حسين من خلال تصريحاته ومقابلاته المقروءة والمرئية، ومن خلال حضوره بين الحين والآخر في التجمعات والاحتفالات الدينية والوطنية التي تعقد في حرب الجمهورية الإسلامية في إيران.

وفي الحقيقة.. فقد تذكرت(الآن) أنني رأيتُه بأمر عيني خرج على شاشة التلفاز مع وطبان ابراهيم وزير الداخلية في ربيع ١٩٩١ أي بعد انتكاسة الانتفاضة الشعبانية، وجدته يتظاهر بأنه مريض، ويتكلم معه بصوت خفيض، وأنا لا أسمع إلا الشيء القليل من كلامه، ورأيت وطبان يجيبه بابتسامة خادعة بليغة قوية أن السيد الرئيس(القائد) بحاجة أن تدعوله عند الله تعالى بالنصر والسؤدد على المستكبرين، فرفع يديه إلى السماء

بصوت مسموع: يا الله أحفظ السيد الرئيس صدام حسين هوقائدنا الأوحده بلا منازع، ودان له شعب وادي الرافدين بالخضوع والطاعة.. اللهم أنصره دائماً، كما نصرته بالأمس القريب، على القوم الظالمين ثم طلب منه إجراء الفحوص الطبية في مستشفيات أوروبا فبادره التكريتي: لا داعي إلى ذلك سوف ندخلك إلى أرقى مستشفى في بغداد وهي باسم عدنان خير الله وزير الدفاع لا يدخلها إلا المسؤولون في المواقع المتقدمة للحزب وحسب.

بعد الفتنة أوجسر للعبور

س: في ظل هذا الذي تقدم كيف تنظرون إلى سياسة السلطة ازاء المؤسسة الدينية الشيعية؟..

ج: في صيف ١٩٨٨ فوجئت بزيارة الشيخ نزيه محي الدين، وكان بصحبته الشيخ محمد حسن عبد الغفار الأنصاري تحدث معي بوصفه مبعوثاً من قبل صديقه الدكتور السيد عدنان علي البكاء عميد كلية الفقه بالنجف الأشرف بأن الأخير اجتمع في القصر الجمهوري مع (الحاج) عبد حسن المجيد ضابط أمن القيادتين القطرية والقومية لحزب السلطة (حينذاك) وصرح له على مضمض ما معناه: بعد وقف اطلاق النار بين العراق وايران التقيت الكثير من أصدقاء القصر وبخاصة مع رجال (الدين)، ولم أجد منهم تجاوباً مرضياً، ونقداً هادفاً في سبيل بناء تجربة (الثورة) من جديد، كما كان معهوداً قبل حرب الخليج (الأولى).

فأجابته البكاء بلا تردد: السبب أنتم وليس نحن، وإن قلنا مراراً وتكراراً لكم ينبغي أن تتعدوا عن كل المظاهر التي فيها المردودات السلبية على مسيرة (الحزب والثورة) أبرزها: انكم لم تعطوا الحرية شبه الكاملة لبعض الشعائر الحسينية في يوم عاشوراء، وعدم إعادة الأذان ومراسيم صلاة الجمعة في الإذاعة والتلفاز، ومضايقة الحوزات الدينية بالنجف وكربلاء، وتحريم نشر الكتب العقيدية الإمامية، بل وحتى الإسلامية منها.

بيد أن المجيد أجابه بهدوء: هذا ما قلته سأنقله إلى (القيادة السياسية) ولكني بحاجة ملحة أن ألتقي بوجوده علمائية جديدة نستفيد من توجيهاتهم ونقدمهم البناء حتى نغير سياستنا الداخلية، لأن الحرب قد أنهكتنا.

فبادره البكاء قائلاً: سأتصل بعونه تعالى وتوفيقه برموز وأنسق عملي معهم لصالح (الحزب والثورة)، وهم الآن في ذهني السيد محمد مهدي حسن الخرسان، والسيد حسين بحر العلوم، والسيد أحمد الحسن البغدادي (ولا زال الحديث للشيخ نزيه محي الدين)، والسبب في طرحه لهذه الرموز العلمائية، حتى تكون يا سيدنا على بينة من أمركم، وعماً قريب سوف يقابلكم (الحاج) عبد حسن المجيد، وبصحبه الدكتور البكاء للتشاور والتنسيق معكم.

ولما انتهى من حديثه الشيخ محي الدين بادرت قائلاً: اسمح لي أن اتكلم معك بصراحة: هل نسي أوتناسي جناب البكاء قتل المرجع الشهيد السيد الصدر، ولا زال كفته أخضر، وينزف دماً زكياً لم يجف؟!.. ماذا يريد منا جناب الدكتور المحترم؟!.. هل يريد منا تثبيت اركان النظام وبقائه في الحكم؟!.. وهل عقيدتنا تأمرنا بالالتصاق بالظالمين؟!.. ألم يكن هذا التنسيق والتعاون من أعظم المخالفات الشرعية المنافية لخط أهل البيت (عليه السلام)؟!.. بل أني على ما أعتقد أن هدف البكاء تبرير تعاونه المريب مع هؤلاء الجبابرة الطواغيت، وان مجرد تردد هذا الطاغوت على منزلي تحطيم لمعنويات مجاهدينا، وانكسار لقلوب أيتام وأرامل

شهادتنا، ومسخ لشخصيتنا الإسلامية.

ومن جراء هذا الموقف الراض اعتقلوا بعد فترة وجيزة أخي المهندس الشهيد فيصل (أبومنتظر)، بل ذهبوا إلى ابعده من ذلك حيث أمروا أحمد كاظم البهادلي (المدرس في كلية الفقه) في ندوة (علمية) عقدت في رواق الإمام علي (عليه السلام) بانتقاد الجمهورية الإسلامية بحجة تعاونها العسكري الاستراتيجي مع العدو الصهيوني، وضعف قول من قال بجواز الاستعانة ب(الكافرين) وإن كان قوياً بالدليل، ثم طعن بطريقة غير مباشرة بالامام المجاهد السيد البغدادي بحجة أنه لا يعرفه الوسط العلمي ب(الدقة الفقهية)، كل ذلك بسبب تفرده لهذا الرأي خلافاً للرأي المشهور، والسيد البغدادي عرف بشهادة الأعاظم من ذوي المنزلة العلمية الموسوعية الرفيعة والمكانة المرموقة في عالم الفقه كمؤسس من خلال اطروحته الفقهية (وجوب النهضة)، ومهما يكن من ذلك كله، كانت قبله كلمات ألقيت من قبل آخرين لكنهم لم يتعرضوا لذلك.

اكتشفت أن البكاء لم يكن مترسلاً في كل تصرفاته بسبب وضعه النفسي والحركي المأزوم في الوسط الحوزوي والاسلامي، كل هذا أخذ منحى تآمرياً من أجل أن يسجل موقفاً معادياً ضدي في نظر الطاغية صدام حسين، كل هذا الحقد الدفين بسبب القصة التي سمعها من صديقه الحميم الشيخ محي الدين!.. وما كنت أدري، ولا المنجم يدري أن الجزائري سينقلها مستنكراً وهي: في أواخر خريف ١٩٨٧م طرق باب المنزل (بعد منتصف الليل)، وفتحت الباب فأطل وجه الشاب حسين عبد الباقي الجزائري فتبادلنا السلام حتى استقر بنا المجلس، سألته عن أحوال الشيخ نزبه محي الدين فقال بخير وهو الآن معتكف في منزله لا يغادره إلا للضرورة، أو الذهاب إلى مزرعة أبيه على ضفاف نهر الفرات بالكوفة، وفي كثير من الأحيان يتردد عليه (العرفاني) السيد عدنان علي البكاء اللبق في أحاديثه المهدوية، وأخبار آخر الزمان، والمنقطع في عبادة ربه الواحد القهار.

ارتسمت على وجهي علامات الاستغراب والدهشة، فأحس الشاب.. وقال: لماذا وضعت علامات الاستفهام، لو اطلعت عليه لوليت منه فراراً، هنا قصة مثيرة فريدة من نوعها في كل مكان من تاريخ الحوزات الدينية رواها الشيخ بشير حسين (النحفي) الباكستاني الذي كان جالساً في منزل الدكتور محمود البستاني، وكان في تلك الجلسة الشيخ محمد حسين علي الصغير حاضراً وإلى جانبه السيد عدنان البكاء، وكان الأخير متحدثاً يتبجح أي من أهل الجنة بسبب الوشاية التي حققتها عند أبي حرب (يقصد المقبور ناظم كزار مدير الأمن العام) ضد الشيخ عبد العزيز البدري باعتباره ناصبياً يبشر ب((الأفكار الوهابية)).. سجلت عليه حديثاً خطيراً على أشرطة التسجيل مفاده: طلب مني التنسيق والتعاون من خلف الأبواب المغلقة لإسقاط النظام العفلق بوصفه لا زال ضعيفاً وقبل أن يستفحل أمره في الساحة ويستعيد قواه!..

أيسوغ شرعاً وقانوناً أن يقتل عالماً وكادراً حركياً في حزب (...)، لقد كان هذا المجاهد في سبيل الله تعالى شهيداً بكل معنى الكلمة، ودمه ذهب هدراً على يد أخطر طاغية في تاريخنا الحديث.

كان يستمع لحديثي بذهول، وكنت أراقب ملامح وجه هذا الشاب المخدوع، فيما بدا عليه التردد والانكسار، أحقاً هذا يا سماحة السيد أبي محمد؟.. قلت له، يا حبيبي كما سمعت، وأكرر لو اطلعت عليه وعلى غيره لوليت منهم فراراً.. فما كان من الشاب الجزائري نفسه إلا أن لطم جبهته بيده، فاجتني بالمغادرة في هذا الليل البهيم.

وفي صباح اليوم التالي التقى الشيخ نزيه محي الدين مستنكراً هذه الجريمة التي لا تغتفر، فقال له: من نقل لك هذه القصة، لو كنت أنا بمكانك لفعلت به ما يشفي غليلي.
فردّه صارخاً بغضب السيد أحمد الحسني البغدادي تحدث بذلك، وأنه ما زال هناك أحياء يرزقون هم شهود على ذلك.
فأجابته: يمكن ان ترتب لي اللقاء معه بأسرع وقت ممكن حتى أبين له حقيقة الدكتور البكاء، وما يترتب على هذه القصة من مردودات سلبية، وبالتالي نغلق هذا الملف من حيث المبدأ.

الشهيد الصدر الثاني بين المرحلة والتأسيس

س: يقال أنكم من الذين فاتحتهم السلطة بالتصدي للمرجعية في سياق تعاطيها مع المؤسسة الشيعية؟
ج: في شتاء ١٩٩٢م فوجئت بزيارة الوفد الرسمي برئاسة أبي خلدون مسؤول المنطقة السادسة لمديرية المخابرات العامة، وكان برفقته العقيد عجيل هزاع التكريتي كان (سابقاً) مديراً عاماً لأمن دولة الكويت قبل تحريرها. فاجتني (الأخير) بلا مقدمات بسيل من الانتقادات اللاذعة، وكان صوته عالياً، وهويصرخ بغضب: هل تعتقد أن جدك الشيخ البغدادي كان مرجعاً دينياً مطاعاً في الساحة العراقية؟..
وقد ابدت استغرابي من هذه اللغة الجافة وبادرته قائلاً: لو لم يكن السيد البغدادي مرجعاً دينياً مطاعاً على حد زعمك لما كان اعلى سلم في القيادة ((السياسية)) مثل على رضا المدير العام لمكتب العلاقات العامة، وبرفقته محمد فاضل، وعزت ابراهيم الدوري عضو القيادة القطرية لحزب السلطة، واللواء الركن حامد احمد الورد عضو المكتب العسكري ((هذا المكتب الذي كان وراءه وتحت الستار صدام حسين، وليس الرئيس العراقي احمد حسن البكر)) يجلسون بين يديه ويتوسلون به ايام ازمة شط العرب مع الشاه ويخاطبونه بالقول: ايرضى ضميركم الوطني والاسلامي ان تغدوا بلاد وادي الرافدين قلعة من قلاع فارس؟!..
وهنا كان له موقف واضح وجريء في هذه الأزمة ضد تحرشات شاه إيران..
ثم قاطعني قائلاً: لماذا تتوسط بإطلاق سراح أخيك فيصل عند العقيد خليل الشعبي (التكريتي) رئيس قطاع الجيش الشعبي (حينذاك) في شمال العراق، وفيصل بلا شك من أعضاء حزب الدعوة العميل (على حد تعبيره).
قلت له: من رابع المستحيلات أن يكون منخرطاً في خلايا تنظيمات الدعوة الإسلامية، لأن هذا الحزب كان على علاقة جيدة مع مرجعية السيد محسن الحكيم، وهذه المرجعية في عرض مرجعية جده السيد محمد الحسني البغدادي يعرف ذلك الخاص والعام.
وبقيت ساكناً أتأمل الوجه العبوس واللغة القاسية، بينما بادرنبي (متحدثاً) أبوخلدون بوجهه المبتسم وبأسلوبه الرصين الهادئ غير المهتز، وبلهجة أقرب إلى الفصحى: شيخنا يا أبا محمد لنترك كل شيء جنتك مبعوثاً شخصياً من قبل السيد الرئيس (القائد) صدام حسين يطرح عليكم التصدي للمرجعية الدينية العربية حتى لا تنتقل إلى إيران بعد وفاة الشيخ الخوئي، وقد نسقنا مع الشيخ حسين بحر العلوم والشيخ محمد صادق الصدر وخصصنا لهما من وزارة الأوقاف مبالغ مالية.
قلت: لماذا وقع الاختيار علي، وأنا المعروف عند الناس بأني منصرف لخدمة ديني وربي، بل هنا في حوزة

النجف من هو أفضل مني أليس كذلك؟..

قال: نحن نريد مراكز قوة متعددة في المرجعية، وهي لصالح العراق وسيادته، حتى لا تنحصر بواحد، ويكون بالتالي خطراً على أمننا القومي العربي عندما تشن له الوسادة.

قلت: لا يمكن بحال أن أقبل بذلك بأن تكون مرجعيتي مدعومة (مادياً ومعنوياً) من خلال سياستكم المرسومة.. وذلك لسبب التفاوت الصارخ بيني وبين السيد حسين بحر العلوم، والسيد محمد الصدر. لأن الأول: تنحدر أسرته من مدينة أصفهان قبل قرنين ونصف من الزمن، فالإيرانيون يدافعون عنه بحجة أنه أخذ بالتقية الشرعية.. ولأن الثاني: ابن عم السيد محمد باقر الصدر والشعب العراقي يتعاطف بشكل أواخر معه.

وأما أنا فواضح بوصفي من أسرة عربية ذات نزعة وطنية اسلامية مستقلة، وأرى التصدي (كما أقدره) وقوعاً في التهلكة والمحذور الشرعي والعرفي.

فردني قائلاً: يا أبا محمد كيف ترد رغبة السيد الرئيس (القائد).. ألم يكن هذا الرفض ليس لصالحكم؟!..

قلت له: وظيفتك أن تكتب تقريراً مفصلاً في شأن ما جرى من حديث.

والشيء العجيب الذي أنهك تفكيري هوسر هذه المسرحية الصدامية التي دارت بيني وبين ممثل الطاغية، ولكن يجب التريث، وعدم التسرع في تصديق كل ما يدعيه، وكل ما يطرحه، إذ ليس من الأمانة التاريخية، ولا من الدقة الموضوعية تصديق هذا الطرح الطاغوتي، ولا بد من تسليط الضوء عليه، كما حصل فعلاً من هذه اللقاءات :

ان مطالبتهم للمرجعية العربية العراقية بالتصدي لا يمكن اعتباره موقفاً صادقاً، وذلك من خلال الأدلة التالية:

الدليل الأول: لو كانوا حريصين (حقاً) على تكوين مرجعية عربية لا إيرانية في العراق، لماذا.. وألف لماذا.. بعد وفاة السيد الخوئي احتفظوا بمرجعيات إيرانية، كالسيد عبد الأعلى السبزواري، والسيد علي السيستاني، والشيخ علي الغروي، ولم ولن يضعوا العقبات والمطبات في مسيرتهم؟..

والدليل الثاني: لو كانوا حريصين (حقاً) لما ضغطوا على فقهاء العرب العراقيين لحضور احتفالاتهم وندواتهم التي تعقد باسم الدين، والدين منهم براء، وهم يعلمون علم اليقين أن شعب العراق يبتعد بشكل أواخر عن الذين يمثلون لهذه المراسيم الدينية.

والدليل الثالث: إن الشهيد الصدر الثاني تصدى للمرجعية في حياة الخوئي وفي تصديه وجد النظام المهزوم الكثير من العراقيين الواعين عدلوا عن تقليد الخوئي، فكيف بعد صعوده إلى الملأ الأعلى؟!.. من هنا.. بادروا بسرعة مذهلة وذكية بمسرحية مساندة المرجعية العربية العراقية، كضرورة تاريخية ملحة قبال المرجعية الإيرانية.

ومن هنا.. ينكشف زيف الاجتماع معنا، ومع غيرنا، واقترح الدعم المادي والمعنوي بعد قبولنا لهذا التصدي.. كل ذلك من أجل تحجيم مرجعية الشهيد الصدر الثاني، وإسقاطها بالمرّة في نظر العراقيين من خلال دعمها المزعوم المتمثل بـ:

١- حصر حق طبع رسالته العملية ومؤلفاته الموسوعية.. حيث لم يؤذن للعلماء المتصدين بطبع مؤلفاتهم

ورسانلهم عن طريق وزارة الثقافة والإعلام.

٢- تسليم إدارة المدارس الدينية(الحوزوية) وفي مقدمتها: المدرسة الباكستانية المهجورة التي كانت تحت إشراف ورعاية السيد محسن الحكيم.

٣- إسناد منح إجازة الإقامة للطلبة غير العراقيين.

٤- مضايقة السيد سعيد الحكيم عن اداء صلاة الجماعة في ليالي الجُمع بالصحن الحسيني في كربلاء المقدسة وعلى أثرها تركها وعدم مضايقة الشهيد مصطفى الصدر(الابن).

٥- منع نوري الموسوي(العميل الرسمي في شعبة مكافحة النشاط الرجعي) من أداء إمامة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف، وحل بمكانه السيد الشهيد الصدر في الليلة الثانية مباشرة، ثم انسحب من المكان بفترة زمنية لأسباب يمكن فهمها.

٦- منع السيد علي السيستاني من أداء صلاة الجماعة في جامع الخضراء بحجة ترميمه، وهوفي غاية المتانة والقوة والجودة.

٧- أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية لمديرية المساجد التابع لها أنه: لا يجوز لأحد من رجال الدين التصدي لصلاة الجماعة، إلا أن يكون حاملاً وكالة مصدقة من السيد الشهيد الصدر.

٨- أرسلت الأجهزة الأمنية والمخابراتية وفوداً من رؤساء عشائر العراق بحجة مبايعته بوصفه مرجعاً عربياً وعراقياً.

٩- إشاعة تصفية المنافسين المحتملين(لمرشح السلطة) في أعقاب اغتيال الشيخين البروجردي والغروي. ومن هنا.. تهزني الحسرة وأنا أقرأ المقولتين في كراس الفتنة الصادر تحت عنوان:(مرجعية السيد محمد الصدر) الذي اصدره المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، لمن لا يبحث عن اكتشاف أبعاد الحقيقة الضائعة، والمشروع التأسيسي الإصلاحي، بل يستدل بذرائع ومبررات، وتحت مظلات عديدة لا تعبر عن حقيقة العلاقة الجدلية بين مشروع حركة الشهيد الصدر الثاني، والمعارضة الوطنية الإسلامية العراقية في الداخل.

ففي المقولة الأولى:

((لقد قام النظام في أواخر حياة الإمام الخوئي بالتحرك على العلماء العراقيين ومنهم: آية الله السيد حسين بحر العلوم، وآية الله السيد محمد علي الحمامي، وآية الله السيد محمد علي الحكيم، وآية الله السيد سعيد الحكيم، وغيرهم.. لإقناعهم بالتصدي للمرجعية بدل الإيرانيين، وكان قد طرح هذا الموضوع قبل ذلك وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران على الشهيد الصدر أيضاً، ولكن هؤلاء العلماء جميعاً رفضوا هذا العرض، باستثناء السيد محمد الصدر الذي وافق عليه عند طرحه، بل كان قد تم الاتفاق معه عليه في المعتقل) كما جاء في الكراس نصاً.

وفي المقولة الثانية أونص ثان من هذا الكراس جاء:

((تخصيص ميزانية شهرية للسيد محمد الصدر في السنين الأولى لتصديه من أجل تأمين نفقات نشاطه، وقد ذكر السيد محمد الصدر في حديثه إلى مراسل مجلة الوسط اللندنية الصادرة بتاريخ ٤ / ١٩٩٤م بأن المبلغ المخصص هو عبارة عن مليوني دينار، وكان ذلك في أوائل سنة ١٩٩٤م، كما تم تأكيد ذلك في الطبعة

الأولى لترجمة السيد الصدر)).

ويمكن تفنيد المقولتين البغيضتين:

أما الأولى: فقد أجبت عنها في الأدلة الثالثة أعلاه.

وأما المقولة الثانية: فقد أجاب عنها صاحب كتاب: (اغتيال شعب): ورد أن السيد الصدر تحدث إلى مراسل مجلة الوسط اللندنية من دون أن يعرفونها بهذا المراسل، ولم يكن باسم (حمادة) هذا هو اسمه مراسلاً لمجلة الوسط، إنما كان مراسلاً لبنانياً زار النجف الأشرف، وكربلاء المقدسة، وأجرى تحقيقاً (وعرض على الوسط هذا التحقيق) فنشرته كما ذكرت المجلة في مقدمتها، وهذا هو الخطأ الأول.

أما الثاني: فقد ورد تاريخ مشوش ومجتزأ لعدد الوسط المنشور فيه الحديث خالياً من أي رقم للعدد سوى القول: (الصادر بتاريخ ٤ / ١٩٩٤) والصحيح هو العدد ١٦ الصادر بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٩٤.

وأما الخطأ الثالث: فقد ورد بأن السيد محمد الصدر ذكر: (بأن المبلغ المخصص لحوزته هو عبارة عن مليونين دينار)) خصصها له النظام، بينما نص قوله: ((وترصد لنا وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية مبلغ ثلاث ملايين دينار ننفقها على المطبوعات والمدارس الدينية في مختلف أنحاء البلاد)).

ولا أحسب أن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية جاءت بهذه الأموال من (بيت أبيها)، إنما هي أموال المسلمين الشيعة من العوام والبسطاء يلقونها في أضرحة الأئمة والأولياء، لتذهب إلى جيب السلطة، تلك البدعة التي حاربها المرجع الشهيد نفسه في حديثه عن السدنة وتاريخ السدنة.

ثلاثة أخطاء فادحة في ثلاثة أسطر منشورة في مجلة مقروءة ومعروفة.

إذن.. كيف يريد منا أصحاب كراس الفتنة أن نصدق ما أورده فيه من أعاجيب كما يقول أحد الكتاب، وستبقى لعنات التاريخ تلاحقهم وتلاحق كل من ناصروا الطاغية المهزوم (من حيث يشعرون أولاً يشعرون) ضد مسيرة الشهيد الصدر المظلوم.. سواء أكانت لدوافع عنصرية، أم أسرية، أم مناطقية، أم غير ذلك.

س: أنتم أيضاً متهمون من قبل البعض بأنكم تحفظتم على تجربة الشهيد الصدر الثاني.. فبماذا تفسرون ذلك؟..

ج: وجه لي سؤال على شريط فيديو في دمشق وذلك بتاريخ الخامس عشر من رمضان المبارك عام ١٤٢٢ هجرية حول الإشاعات الأخيرة التي روجتها المخابرات العراقية ضد مسيرة الشهيد الخالد السيد محمد صادق الصدر بوصفه رجل (فتنة) وأن المؤسسة الدينية بالنجف الأشرف وقم المقدسة كانت لا تؤيد تصرفاته وسلوكيته، بل وحتى تصديه للمرجعية، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك (اتهموني) شخصياً بأني عندما كنت في العراق في غاية التحفظ معه!.. فكان جوابي في منتهى الصراحة، فليراجع لمن أراد البحث عن الحقيقة الضائعة. وهنا يخطنني الكتابان القيمان الفريدان من نوعهما في المحايدة والتوثيق والأمانة: ((السفير الخامس)) و((اغتيال شعب)) فلقد عالجوا ذلك، ويمكن الاطلاع عليه من خلال وثائق مثبتة بالإضافة إلى وثائق نحتفظ بها وهي متيسرة لمن أراد الاطلاع عليها.

هدية بعد الانتفاضة الخاسرة

س: كيف تجلّى موقف السلطة منكم ومن المؤسسة الدينية بعد الانتفاضة؟

ج: في شتاء ١٩٩٢م وجهت دعوة خاصة إلى علماء ورجال الحوزة العلمية بالنجف الأشرف من قبل كريم

حسن رضا التميمي محافظ النجف بمناسبة مرور ذكرى السنة الأولى على الانتصار الساحق على انتفاضة الشعب العراقي في الخامس عشر من شعبان . آذار المجيدة، واستجاب الكثير من الرموز الحوزوية وممثلي الرموز المتصدية للمرجعية الدينية في منزله بحجة الأخذ بـ((التقية الشرعية))!.. وألقيت الكلمات والقصائد تندد بـ((المنتفضين))، وبعد انتهاء مراسم الاحتفال أعلنت أسماء أبناء المراجع نيابة عن آبائهم، كالسيد محمد تقي الخوئي، والسيد علي السبزواري، ومن ثم رجال الحوزة الدينية كالسيد محمد كلانتر، والسيد محمد مهدي الخرسان، والسيد محمد علي الحمامي، والشيخ أحمد كاظم البهادلي، والسيد سعيد الحكيم، والسيد عدنان البكاء، والسيد حسين بحر العلوم، والشيخ عباس علي كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسين حرز الدين، والشيخ جعفر محمد ابراهيم الكرباسي وآخرين. وتقدموا فرداً فرداً بين يدي المحافظ يقدم الهدية باسم رئيس النظام العراقي صدام حسين.. قطعة قماش انجليزي مع(١٧) ألف دينار وهي بالعملة العراقية ما يزيد على ألف دولار أميركي(في تلك الأيام).

ومن هنا، ثارت ثائرة محافظ النجف بعدم حضوري، واستلام الهدية المخصصة لي شخصياً بعدما أكد عليّ للاستجابة لهذه الدعوة بعد زيارته لي، وتقديم التهنة بحلول عيد الفطر المبارك، وعلى هذا الأساس بعث حيدر محمد حسن الكليدار الرفيعي سادن الروضة الحيدرية(معتاباً) تارة، واقناعي بقبول الهدية تارة أخرى بعد زيارته لي مرة ثانية.

أنني اعتذرت عن اللقاء وقبض الهدية سواء بسواء وخاطبته قائلاً: إن البعض من الناس يريد أن يكسب مالاً بلا كرامة وبلا شرف، ونحن نريد كرامة وشرفاً بلا مال، والكرامة يا أبا صفية لا تتحقق إلا أن يبادر المحافظ لإبلاغ رئيس الجمهورية باطلاق سراح أخي المهندس السيد فيصل إن كان حياً يرزق.. وإن كان مقتولاً فيسلم جثته الطاهرة إلى ذويه، ويتم دفنه في مرقد جده الإمام المجاهد السيد البغدادي وإلى جوار جده أمير المؤمنين(عليه السلام).

وبعد فترة زمنية ليست بطويلة بلغني(أبوصفية) أن أبا هيثم لم يخبر السيد الرئيس(القائد) في شأن شقيقك، ويعتقد أن هذا الاقتراح ليس لصالحك بل فيه مردودات سلبية، وينبغي الامتنال باستلام الهدية، لأن رفضها بهذه الطريقة اللاموضوعية إهانة لا تغتفر لـ(السيد الرئيس) وبالتالي ستكون العواقب وخيمة، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

فكان جوابي واضحاً، وباقتضاب: حسينا الله ونعم الوكيل.

فذهب إلى المحافظ وأبلغه ما جرى من حديث، ثم جاء مرة ثانية وبصحبتة زوج شقيقته(أبوزينب الرفيعي) يتوسلون بي لاستلام الهدية في السر، ولا يعلم بها أحد من الناس إلا الله الواحد القهار، ولكن بقيت مصراً على رأيي متوكلاً على الله سبحانه بوصفه المطلق، ومفوضاً أمري إليه تعالى.. وبذلك استطعت أن أتغلب على هذا المسكين الذي اتهم من قبل سيده بالسارق لأموال الشعب، واعتقله لمدة طويلة، ثم أطلق سراحه بسبب انتحار ولده لأسباب غامضة.

والشيء بالشيء يذكر بعد خروجي قهراً إلى الجمهورية الاسلامية في ايران التقيت احد أصدقائي في قم المقدسة الذي لم أراه منذ انتفاضة شعبان . آذار المجيدة نقل له شاهد عيان كان من القلائل الذين نجوا من الحملة الهمجية كيف اقتيد مع فيصل وآخرين بعد أن أوثقت أيديهم إلى شاحنات انطلقت من فندق السلام،

وسارت بهم إلى (خان النص) انتشرت فيها قبور حفرت (حديثاً) وهناك تم صفهم أمام القبور، وفتح النار عليهم من قبل افراد الجيش العراقي.

الانفتاح الخادع على الرموز

س: ماذا كان موقفكم على انفتاح السلطة على الرموز الحوزوية والعشائرية؟

ج: في صيف ١٩٩٤م زارني الدكتور باسم السيد سلمان عميد كلية(القائد) صدام(للبنات)، وكان برفقته خاله السيد هاشم السيد سلمان، وبعد جلسة الاستراحة وتبادل الكلمات الودية استأذن من خاله الاجتماع معي في جلسة مغلقة.

ثم استهل يتكلم: بأن السيد الرئيس(القائد) صدام حسين فتح صفحة جديدة للاجتماع مع شخصيات شيعية مرموقة من أجل كسب مودتهم والتشاور معهم في بناء العراق الجديد هذا أولاً، وثانياً: قبل أن أدخل في صلب الموضوع الذي جئت من أجله لا بد من مقدمة اعتقد أنها مهمة من وجهة نظري: أن السبب الأساس في لقائي مع السيد الرئيس هو عدم حصولي على شرف العضوية في انتخابات قيادة شعبة النجف للحزب، وعلى هذا انتقدت الحزبيين الشعبويين ووصفتهم بكل النعوت، وحينما سمع ابن خالتي الشيخ طارق الحنون شيخ عشيرة آل ابراهيم تأثر كثيراً، وكلفني أن أكتب تقريراً مفصلاً عن ظلامي إلى السيد الرئيس، ويكون الوسيلة بتقديم شكائتي إلى أرشد ياسين^(١). بوصفه شريك ابن خالتي في تجارة الآثار والأحجار الكريمة.

هذا.. وبعد فترة وجيزة دق الهاتف عليّ من الرفيق صدام كامل يطلب حضوري في القصر صباحاً أنا وعقيلتي وأطفالي للاجتماع مع السيد الرئيس، فاستجبت إلى ذلك واجتمعت معه في جلسة عائلية، وقدم لنا هدية لكل واحد منا ساعة ذهبية ثمينة مشفوعة بصورته(الكريمة).. وبعد تبادل الكلمات الودية، وإرجاع اعتباراتي الحزبية بادرني يسأل: هل من جديد في النجف، فقلت له يا سيادة الرئيس: الجديد الذي نعز به هو هناك علماء عرب أقحاح تتفجر العروبية في أفكارهم وبخاصة سماحة السيد أحمد الحسيني البغدادي يتمتع بشعبية عريضة بسبب إعراضه عن الدنيا وملذاتها، بل متفرغ بدعم الأيتام والأرامل في السر والعلن، فبادرني السيد الرئيس مبتسماً: بلغ تحياتي لسماحة(الشيخ)، وعندما انتهى اللقاء استصحبتني صهره العقيد صدام كامل المشرف على مكتب الحرس الخاص، وقال لي بالحرف الواحد: هذه إشارة من السيد الرئيس أن تبلغ الشيخ البغدادي بأن الرئيس يرغب اللقاء معه في القصر الجمهوري وسوف يقوم بتكريمه.

وبعد أن انتهى من حديثه المسهب بادرته قائلاً: لماذا يا دكتور تذكرني عند صدام حسين.. ثم لا تربطني معك علاقة مسبقة لا من قريب ولا من بعيد باستثناء خالك السيد هاشم كان أستاذاً، ثم أنا منصرف لخدمة ديني وعبادة ربي.

فبادرني قائلاً: سمعت الشيء الكثير عن شخصيتك من خلال خالي، وبخاصة من صديقي الدكتور محمد حسين علي الصغير.

وأرى أن من المفروض أن تستجيب لهذه الدعوة الشخصية بكل اعتزاز، هل ترفض مشاعر السيد الرئيس(القائد) صدام حسين.. إذا رفضت رغبته سيما وأنه منكب هذه الأيام على استمالة علماء الشيعة

والشخصيات العشائرية والاجتماعية المرموقة في الوسط والجنوب، وأنت تعلم كل العلم كيف استقبل السيد الرئيس(القائد) رجال الدين من محافظة كربلاء والنجف وفي مقدمتهم الوفد الديني برئاسة السيد محمد تقي الخوئي، وكذا أنت تعلم كل العلم أن العراق يعيش وضعاً استثنائياً، وأن المسار الخاص والعام ينظر لمقامكم كعنصر عربي التوجه إسلامي الحركة، ويترتب على هذا الموقف العديد من قضايا الساعة المهمة، لذلك أقدم مع الاعتذار نصيحتي بضرورة اللقاء البتة.

بيد أنني تحدثت معه بهدوء، أنني في كل حياتي لم أتردد على دوائر وبيوت المسؤولين، وبخاصة في أيام مرجعية جدي السيد البغدادي(رضوان الله عليه) هذا والرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ((إذا رأيتم العلماء على أبواب الأمراء فقل بئس العلماء وبئس الأمراء، وإذا رأيتم الأمراء على أبواب العلماء فقل نعم الأمراء ونعم العلماء)).

ولكن الدكتور أكد لي قائلاً: أنتم تعرفون ونحن نعرف من هم العناصر والأطراف النجفية التي ساهمت وأسهمت في عمليات الاضطهاد والتنكيل والتصفية الجسدية، وسيب وأسر الرفاق، وأنتم متهمون بدليل: عندما هجم(الغوغاء) عصر الاثنين في الخامس عشر من شعبان -آذار عام ١٩٩١ على المقرات الحزبية والدوائر الأمنية والحكومية، وفي صباح الثلاثاء خرجت لتأييد صفحة الغدر والخيانة(الغوغاء) وقد أقيمت كلمة باختزال على مآل من المتظاهرين في شارع زين العابدين تحشد همهمم بتصفية الرفاق الحزبيين، بيد أنك انسحبت إلى الخطوط الخلفية بسبب تحفظات الخوئي وحاشيته المترددة، وبسبب العداوة الموجودة بينك وبين السيد محمد تقي الخوئي على أثر الرسالة المفتوحة التي وجهتها ضد أبيه تطالبه بزيادة مخصصات الحوزات العلمية في النجف الأشرف، وحاول تصفيتك إلا أنك لم تتراجع، بل أمرت مرديك وفي مقدمتهم شقيقك فيصل(المعتقل)، وحسين(الهارب) بالاشتراك الفعلي بل كانا في مقر القيادة مع مسلم العذاري(قائد العمليات التخريبية) وهما يرددان(عبر مكبرات الصوت في صحن الإمام علي(عليه السلام) المخصصة للأذان) الشعارات الموالية لنهج الخميني، ودعم ولاية الخامنئي على شعب العراق، ولولا خروجك من النجف واختفاؤك في قضاء المشخاب لمدة شهر ونيف لكان مصيرك مجهولاً أسوة بزملائك من رجال الدين.

وقلت له على الفور وبلا تردد ووجل: أتهددني(يا أبا أحمد) وأنت في منزلي، أتق الله الواحد القهار مشكلتك الحقيقية في أنك لا زالت تنظر إلى المسألة من منظارك الخاص الذي لا يريد الواقع كما هو، لا يا دكتور لسنا الآن بصدد الفعل ورد الفعل، كانت زيارتك بمثابة دعوة للقاء رئيس الجمهورية وقد بينا رأينا في البداية، ووظيفتك أن تنقل ذلك لصهره صدام كامل المجيد، وكفى المؤمنين القتال.

ولكنه أصر على تهديده، وكان غاضباً في المقابلة من خلال كلماته اللعينة التي لا يقولها إلا المجرمون المتكبرون المتغطرسون الذين يجهلون مصيرهم المجهول.. وبلغ حداً لا يطاق حتى انتهى الأمر إلى نزاع ومشادة كلامية، وخرج من المجلس.

وبعد اللقاء ب(سبعة أيام) صودر السجاد الإيراني الذي كنت أصلي عليه لأداء صلاة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف بحجة أن صيغة الوقفية مكتوبة عليه ب((اللغة الفارسية)) وبسبب هذا الاجراء حتى لا أصلي صلاة الجماعة في هذا المكان المقدس.

وقد أضربت عن أداء الجماعة، وصممت ب((الفعل)) تركها بالمرة، إلا أن بعض الأخوة نصحوني بعدم

الأخذ بهذا القرار وقالوا: ينبغي أن يكون لك حضور مستمر في الساحة، وإلا ستكون العواقب وخيمة، وعلى هذا المبني بادروا بشراء السجاد العراقي المصنوع يدوياً (غلايخ) بكلفة مليون دينار من محافظة بابل. هذا وقد واصلت موقفي المقاطع للسلطة حتى في الاستفتاء الذي أجري بعد الانتفاضة حول شرعية صدام حسين كقائد أوحد للعراق.

استفتاء بعد الاحتضار

س: ماذا كان موقفكم من هذا الاستفتاء؟

ج: حينما انتفض الشعب العراقي بـ((الإجماع)) في الخامس عشر من شعبان . آذار ١٩٩١م لإسقاط حكمه المستبد ليضع حداً للاستهتار والغطرسة والجريمة تحطيماً نهائياً في ملحمة خاطفة كادت تبطش به لولا إعطاء الضوء الأخضر من أسياده الأميركيين لإجهاض المنتفضين الأشداء، وفقاً لشروط خيمة صفوان في أعقاب حرب الخليج الثانية -عاصفة الصحراء-.

ومن هنا.. ترى الطاغية صدام حسين يحاول أن يضيفي على حكمه الزائف شيئاً من المرجعية(الشرعية) بطروحات حضارية مفتعلة لتزيين وجهه باستفتاء صوري المرشح الوحيد فيه صدام حسين كرئيس للجمهورية العراقية إلى مدى الحياة، والمشرفون على صناديق الاقتراع هم عملاؤه المخضرمون ورفاقه الذين يخرجون الناس من بيوتهم وفق منطق القوة تارة، والحرب النفسية تارة أخرى إلى تلك الصناديق، والنتيجة معروفة سلفاً(٩٩%) لصالح بقائه في الحكم إلى مدى الحياة.

وهنا بيت القصيد، في مساء ١٥/١٠/١٩٩٦م هجم أزام النظام على منزلي، وسألوا عني، ولم أكن موجوداً في تلك اللحظة، بيد أنهم طلبوا من العائلة رقم الهاتف، وقالوا لهم إذا جاء السيد يجب أن يستصحبكم معه إلى مركز صناديق الاقتراع في مدرسة مصطفى جواد الواقعة في حي العلماء لأن كل الأحياء المحيطة بكم حضرت وأدت واجبها الوطني والقومي حتى الرموز في الحوزة الدينية وعوائلهم استجابوا لهذا الواجب المقدس.. إلا أنتم.

وعندما جئت إلى المنزل أبلغوني بكل ما جرى مع العائلة من حديث.. قلت لهم: اتركوهم وشأنهم. ومن هنا.. طرق الباب الحاج ابوزيد يؤكد عليّ بالحضور، لأنه رأى مسرحية الهجوم بأم عينيه، فلما وجدني رافضاً كل الرفض أخذ يتوسل بي وكان قلبه يتفجر من القلق والوجل أعطني هوياتكم الشخصية(على الأقل)، وأنا أذهب بها إلى مركز الاقتراع حتى أنقذكم من هذه الورطة، ولأن المسؤول على مركز الاقتراع رضا القصاب كان والده المرحوم الشاعر الشعبي الحاج هادي صديقي، فلم أعر أي أهمية من هذا الحديث الأخوي.

هذا.. وبسبب دقات الهاتف الاستفزازية المتكررة على منزلي ومكتبي صممت على الخروج، واتصلت بالأخ(أ.ث) وقلت له: أريد أن أذهب إلى صاحبي أبي عادل، وأهنته بالمولود الجديد، وجاءني بأسرع وقت، وأجلسني إلى جنبه، ثم هو عرف كل شيء عن سبب خروجي في هذا الليل البهيم، بيد أنه وجه لي عتاباً أخوياً قاسياً أنني أتوجس عندك شيء يدور في رأسك من خلال أحاديثك الحركية والميدانية، وربما يفتضح أمرك الرسالي، أو يضعون علامات استفهام خطيرة على مسيرتك فتكشف الخطط المرسومة في جعبتك.

قلت له: إن كل هذه الاحتمالات واردة..

ومهما يكن من هذا كله، وإذا أنا وصاحبي (أ.ث) وأبوعادل وأبومهدي نفاجاً من شاشة التلفاز يخرج ثلة من رموز الحوزة الدينية يؤيدون الاستفتاء وفي مقدمتهم السيد محمد علي الحمامي، والسيد حسين بحر العلوم، والسيد عدنان البكاء، والشيخ أحمد كاظم البهادلي.

وفي تلك الليلة (وأنا لا أعلم) ذهب وفد من جيراننا يتألف من الدكتور جبار نايل، والدكتور فلاح عرب، وغيرهم.. إلى منزل رضا القصاب مسؤول مركز الاقتراع يقدمون له الاعتذار بعدم حضوره بحجة أنني مريض لا أقدر على الحضور، قال لهم بدون خجل أو استحياء: نحن نعلم أنه عنيد، وفي كل مناسبة وطنية، أو قومية، أو.. لا يسجل موقفاً بيد أننا وقعنا بدلاً عنه!!

اختفاء قبل النصر الموعود

س: ولكن بعد كل ذلك اضطررت إلى المغادرة خارج الوطن؟

ج: في صبيحة الثالث والعشرين من آذار عام ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ هجم الأمن الخاص (الذي يشرف عليه قصي النجل الأصغر لصادق حسين) على منزلي ومكتبي لإلقاء القبض علي بسبب إيوائي لمقاتلي الأهوار، وبالتنسيق مع مجاميع أفواج الرفض والمقاومة الجناح العسكري لحركة الإسلاميين الأحرار الذين فجروا مخازن الحلة العسكرية في العاشر من آذار العام ١٩٩٨م، وعند سماع نبأ الهجوم اختفيت وصاحبي أبوعادل^(٢) في ضواحي النجف، وكانت أفكر في اللحظة الحرجة الذهاب إلى بغداد، وكيف سيكون الأمر لو أن مفرزة للأمن أو المرور على نقاط التفتيش (السيطرة) استوقفت السيارة التي تقلنا للتأكيد من الوثائق التي نحملها، فلم تكن معنا أي وثيقة باستثناء أبوجعفر^(٣) قائد السيارة. وحينما وصلنا على مشارف مدينة الحلة (بابل) الفيحاء فاجتني مفرزة أمن تستوقفنا فكاد فؤادي يطير من مكانه، وأصابني دهشة خفيفة تحدثني نفسي أن هؤلاء جلاوزة الأمن من الذين اشتغلوا بالنجف الأشرف، وإذا رأوني ألقوا القبض علي.. وقلت لصاحبي أبي عادل سأتظاهر بأني مريض ومصاب بمرض خطير في القلب، وإذا سألت فقل بلا وجل وبلا تردد بأن والدي مريض في حالة يرثى لها وفوجئنا بذلك، ولم نستصحب معنا الهويات الشخصية (الوثائق) وأنا اخطط والسيارة توقفت قليلاً لم يعطوا لنا إشارة، تعالي صوت أحد الجلاوزة من أين أنتم، وماذا تحملون خلف حقيبة السيارة.. أجابه قائد السيارة جئنا من ناحية الحرية ولا نحمل شيئاً.. وعندنا مريض وهو في خطر وفي غيبوبة نريد الوصول إلى مستشفى مدينة الطب بأسرع وقت ممكن، يا الله تحرك ما دام هذا الشيخ (مريض) عندها تنفست الصعداء، وزيح من على صدري هم لا يطاق، فانطلقت السيارة مسرعة في طريقها إلى المدينة، ثم فكرنا كيف نجتاح نقطة التفتيش الموجودة خارج ضواحي مدينة الحلة.. قلنا نبقي على تلك الحالة التي موهت على تلك المفرزة الأمنية الغيبية.. وبالفعل عبرنا بسلام بلا سؤال ولا كلام.. ثم وصلنا على مفترق الطريق فكرنا نذهب إلى قضاء الصويرة إذ ان هناك أسرة صديقة، وكان الكثير منهم من مقلدي السيد البغدادي، لان نقطة التفتيش في الدورة فيها ضباط أمن اشتغلوا في أغلب المحافظات قساة غلاظ ليس فيهم رحمة ولا مروءة اطلاقاً، وفي سنوات المحنة ألقى القبض فيها على المئات من شعبنا المجاهد، وأرسلوا إلى طاحونة الموت الأحمر (وأصحابي ونحن

نتناول فنجان قهوة عربية عند بائع على قارعة الطريق).. ثم قلت لسائقنا إلى بغداد نضيع فيها باعتبار أن عشيرتي فيها، بالإضافة إلى تنظيماتنا المنضبطة شريطة أن أتظاهر في طارئى يفاجئني ب((الغيوبة)). وأنت يا أبا عادل تمسك بيدك هذا المنديل، وهي مبللة تمسح بها جبتي، وتنتظر بالبحزن والكآبة عليّ عند الوصول إلى نقطة التفتيش وبالفعل نجحت الخطة على أحسن ما يرام، وأشار ضابطان بأيديهما الملوثة بدماء الشهداء الأبرار، تحرك يا أخي، وأنا أتلو هذه الآية المباركة: ((وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)).

بدأت أفكر بالمرحلة القادمة، وكيف أعيد صلتي بالقيادة ثانية تكون لدي مخطط للأيام المقبلة، لأن عضواً الارتباط بيني وبينها الشهيد سلام عبد عداي الشاوي قد اعتقل، وقد اعطى لي كنية حركية لعضواً الارتباط الجديد.

وانطلقت السيارة بالتحديد إلى كراة خارج (ساحة الحرية) فوجئ قائد السيارة بطلب الوقوف، قال: لماذا نقف. قلت: انتهى دورك.. أنا معك في المخبأ المقرر في ذهنك.. لا أريد أن تعلم إلى أي مكان سأذهب إليه، ربما تعتقل في الطريق، وبالفعل ودعناه وصاحبه بحرارة.. ومن ثم ركبنا سيارة أجرة إلى أبي موسى الخليل وبقينا عنده ليلة واحدة، وتأخرنا إلى الليلة الثانية بلا مبيت، وان أصر علينا بالبقاء إلى الأبد، وبعثنا إلى (ح. ج. ح) ليهيئ لنا مخبأً مؤقتاً بعيداً عن أعين النظام وأزلامه.

وفي عناء البحث عن قيادة الحركة وسبل تأمين الصلة بها وما الذي يتعين على القيادة أن تفعله بعد ان استرجعت حريتي أشحذ الذاكرة وأحدثها لكي تشدني إلى الطريق الأسلم اتصلت بالهاتف للبحث عن الاخ ابي عباس والسؤال عن وضع الشهيد سلام عبد عداي هل اعترف او لا، خصوصاً وان الامن نصب كميناً في منزله لاصطياد الزوار والمترددين عليه.. بيد أنني تذكرت كلمة (السر) في ذلك، فرفعت سماعة الهاتف، واتصلت به وبعد السلام عليه، قلت له: السيد أبوإبراهيم يسلم عليك ويقول الهدية وصلت، وبادرني بلا مقدمات اطمنن الهدية وصلت لأبي العباس، فقلت له: أهلاً وسهلاً يا أخي سأبعث لك صاحبي أبو عادل في زي عربي يلبس نظارات تجده يقرأ جريدة (الثورة) في مقهى البرلمان الواقعة في شارع الرشيد في الساعة الرابعة عصراً، وبالتالي التقينا به في الوقت المحدد، وتم كل شيء على حسب ما يرام وقدم لصاحبي مسدساً للدفاع عن نفسه عند تنقلاته في بغداد ليلاً.

وبعد أن استقر به المقام في ٢٦ آذار كلفت السيد أبا موسى الخليل الذهاب إلى مدينة النجف الأشرف ليستطلع الوضع هناك، وعند وصوله لها سمع أموراً عجيبة وغريبة أهمها: أن مكتبي كان شبه مطوق من قبل أزلام النظام، وكذا قرب منزلي كانت هنالك سياراتان تراقب العائلة والجيران في الليل والنهار، لأنهم كانوا يعتقدون أنني لا زلت في النجف.

وقد أعلنت صحف وإذاعات المعارضة الوطنية والاسلامية أخباراً متضاربة بين الاغتيال والاعتقال أو الاختفاء، من أبرزها صحيفة (بغداد) و(لواء الصدر) و(الشهيد) و(نداء الرافدين) و(بدر) وصحف ونشرات أخرى لم تحضرني الآن أسماءها.

وتحسن الإشارة (هنا) أن أعبر عن أسفي لما قرأته في صحيفة (لواء الصدر) سبب مطاردة النظام لي هو: تهمة توزيعي لمناشير تحرض على اقامة الشعائر الحسينية، وان كان لي الفخر والاعتزاز بأن أتهم بذلك من قبل

النظام الذليل.

ومهما يكن من ذلك كله.. بدأت بعد فترة قصيرة مسرحية نظام طاغية بغداد باغتيال الشهيد الخالد السيد محمد الصدر الذي أصبح يهدد أمن النظام من خلال صلاة الجمعة المليونية في مسجد الكوفة، ولا أكنم سراً أن احد الأشخاص ممن له علاقة بمسؤول الشعبة الخامسة لمكافحة النشاط الرجعي وجه عتاباً هادئاً مفاده: لماذا قتلتم الشيخ مرتضى البورجردي، والشيخ علي الغروي والأخير من المراجع الكبار في العراق والخليج وايران وأنتم تعيشون وضعاً استثنائياً خطيراً، وحصاراً اقتصادياً ظالماً باسم الشرعية الدولية، والقانون الدولي الجديد، وهذا التصرف في الحقيقة غير صحيح عند العقلاء بما هم عقلاء، فلا بد من تحجيم هذه القضية.

فبادره قائلاً: صدقني يا أخي لم نكن نحن فاعلون ذلك.. وانما: الاستعمار هو الذي قتلهم في سبيل إرباك الساحة، وتصعيد النقمة الشعبية ضد(الحزب) و(الثورة)، وانما هناك رجل دين المدعو: (الشيخ) أحمد الحسن البغدادي هو المستهدف عندنا بوصفه: (مجرم) و(مخرب) صدرت إلينا أوامر مباشرة من مدير الأمن العام الفريق طاهر جليل حبوش(التكريتي) لإلقاء القبض عليه.. هذا هو المطلوب منا، ولكن من المؤسف أن جريدة بابل التي يشرف عليها(الاستاذ) عدي النجل الأكبر ل(السيد الرئيس القائد) كشفت سراً نشرته تحت عنوان: (همسة) مفاده: ان المدعو(الشيخ) أحمد الحسن البغدادي يقود تنظيم(تخريبي) ضد مؤسسات الحزب والثورة ولا ندري لماذا لا تبادر الأجهزة المختصة لإلقاء القبض عليه بأسرع وقت، ونحن نسمع همسة من هنا وهناك أنه مختبئ في ضواحي بغداد، وليس في مدينة النجف!..

وعندما خرج صديق دائرة الشعبة الخامسة، همس من حيث يشعر أولاً يشعر بأذان أحد الأخوة المتعاطفين مع المعارضة الإسلامية العراقية، وهو من تجار سوق الشورجة يكاد ينطبق عليه المثل: ((وعند جهينة الخبير اليقين)) وعلى هذا الأساس شاع الخبر بين الناس.

وعلى كل.. التقيت أبا العباس⁽⁴⁾ عضو المكتب السياسي لحركة الإسلاميين الأحرار، وشكرته على صنيعه معي.. وقال لي: يا سماحة السيد أليس هذا واجب القيادة.. وحذرتي مما يبته لي النظام من خبر الشعبة الخامسة، وصحيفة بابل عن خطورتكم.. وقد صدمتني عبارة(مجرم) و(مخرب) فقد كنت قد سمعتها تتردد كثيراً على احرار العراق الذين رفضوا الانخراط في خندق الطاغية صدام حسين، وها هي الآن اصبحت جزءاً حيويًا من قاموس وسائل إعلام النظام.

من هنا.. فكرت بالأمر ملياً أن الخروج من العراق أصبح عليّ واجباً، وان كنت أرفض بإصرار وغناد مغادرة أرض الوطن الأعز(أرض المعركة الفاصلة مع العفالق) رغم التهيب الذي كان يشتد حولي يوماً بعد يوم، ولكن الضرورات تبيح المحذورات، فقررت ان انتهر الفرصة لمغادرة العراق متوجهاً إلى الجمهورية الإسلامية في ايران. هذا بعد أن خيرت نفسي ما بين النور والظلمة، وما بين الجنة والنار، ثم صليت ركعتين استخارة بعنوان الرجاء والمطلوبية، وبعد انتهاء مراسيمها قلت في نفسي ان كانت مغادرتي حفظاً لديني ودنياي فعجل في ذلك، وان كانت عكس ذلك فأما النصر والشهادة.

ومن هنا.. طلب مني ابوالعباس ان انتظر برهة من الزمن حتى يرتب الامر لي على حسب ما يرام.

وفي مساء اليوم التالي جاء ابوالعباس واجلسني إلى جنبه في سيارته التي تحمل رقم(.....) بغداد حمراء اللون البعيدة عن أي شبهة وريبة يقودها ابن عمه توجهت نحو محافظة ميسان(العمارة)، وهناك نزلت ضيفاً

على شرف(ف. ع) تمهيدا لترتيب أمر مغادرتي عبر الاهوار المتاخمة للاراضي الايرانية، وبقيت انا في(ف. ع) وذهب ابو العباس إلى بطل العبور لتبادل وجهات النظر معه ليستطلع الطريق بدراسة ميدانية دقيقة، وذلك للمرور فيه، ومعرفة اوضاعه من الناحية الامنية والجغرافية، ويأتي بالتقرير الذي سيحدد موقفنا بناءً عليه، هذا وان اهالي مدينة العزيز البعض منهم يتعاونون مع أمن النظام(مجانا)، ويتساءلون عن الشخص الغريب، ولكن المشكلة تكمن ان العبور يكاد يكون مستحيلا في النهار، اذ ان رجال امن المراقبة يمكنهم بسهولة رصد العابر، وبالتالي اطلاق النار عليه، لذلك الذين يريدون العبور لا يحاولون إلا ليلا لكي يأخذوا العتمة ستارا لهم، وكانت تلك الفترة حرجة إلى من ينوي العبور نحو اراضي الجمهورية الاسلامية(وبالعكس) يقتل بالرصاص الحي.. بسبب اجتياح المعارضة من هذا الفصيل أو تلك.

تحركنا في تلك الليلة المظلمة الدامسة متجهين صوب الهور(الناشف) في عربة خشبية من اربعة عجلات يجرها حصان كانت في انتظارنا، وحين اصبحنا على بعد يقع تقريبا في منتصف الطريق بين ثكنات الجيش، واوعز بطل العبور إلى سائق العربة ان يتوقف، فتوقفت العربة بسرعة وتوجهنا بدون توقف عكس التيار الجارف، واذا عربة تنتظرنا وركبنا لها وتقدم شبان بأيديهم بنادق(كلاشنكوف) يهرولون امامنا من مسافة بعيدة يمشطون الطريق خوفا من رجال امن الحدود، وكان بين الجانب الايمن تارة، والجانب الايسر تارة اخرى معسكرات للجيش العراقي نسمع بعض اصواتهم من هنا ومن هناك، وبعد فترة زمنية استغرقت اربعة ساعات ونصف من عبورنا إلى جانب اهوار ايران، ثم تركنا العربة وسرنا مشيا على الاقدام ونحن نسير صامتين ولا نسمع غير صوت احذيتنا ترتطم بالاشواك والشعابين تقفز من هنا وهناك في بعض الاحيان، فبلغ الانهالك والاعياء مبلغه اذ لم تكن هذه الامور قد مرت بي ولم آلفها من قبل.. استغرق هذا المسير لمدة ثلاث ساعات، واذا بطل العبور امر بالتوقف يتشاور مع بعض اصحابه، وكلنا اذان صاغية لاية حركة في الهور.

ومن الغريب اجتاحتني هواجس، وانا احدث نفسي متسائلا لماذا هذا التشاور والهمس.. ألم يكن قد ولي خوفنا من اية اشارة تدل على ان صاحبها جندي، أو حارس حدود.. ام لا زالت الشكوك تراودني بأني ربما لا ازال في الاراضي العراقية؟!..

وفي غضون خمس دقائق، وانا في عالم التساؤلات المثيرة.. حتى تكلمت بصوت خافت رقيق: لماذا هذا التوقف المفاجيء؟!.. وهذا الهمس والتشاور.. اشركوني معكم يا اخوة الجهاد، فاجتني بطل العبور: اننا قد وصلنا اراضي الجمهورية الاسلامية الامنة، ونحن نفتش عن الزورق الذي نخفيه على ضفة الهور، فاطمأن قلبي، والله الحمد على ذلك.

وبعد معاناة اجتياح مياه الاهوار تارة وفي الاراضي اليابسة ثانية، وفي الوحل اللاصق في الطين الثالثة، استغرقت حوالي ست ساعات بين نهار وليل، وصلنا إلى احدى مقرات مجاهدي الاهوار، وبدأنا نتنفس الصعداء مؤملين انفسنا بأخذ قسط من الراحة والسكينة في ذلك المقر القصي البسيط، فرشت فيه بكل عناية بضعة سجاجيد(اغلايج) عراقية الصنع.

ويأخذني العجب كل العجب حين ارى على جدران المقر علقبت بعض صور(العلماء المتصدين) الذين لا يؤمنون ب(الولاية العامة)، ولا بمسيرة الصدر الاول والثاني الرامية لاقامة الدولة الاسلامية في وادي الرافدين

الاشم، بل ولا يفتون بحرب الطواغيت كل الطواغيت، بل باعوا اخرتهم بدنياهم الفانية، والسكوت عن جرائم الطاغوت صدام حسين.

هذا.. وارتال البعوض الذي لا يطاق لم يترك لنا فرصة النوم الهنيء.. فراح بطل العبور يهش عني لسعات البعوض كي استرق بعض لحظات النوم افتقدتها طيلة اثنين وخمسين ساعة بلا انقطاع.. وبعد بزوغ الفجر الصادق اذنت وأقمت وصلى خلفي مقاتلي الاهوار بعد ان تركت امامة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف قهرا لمدة اربعة اشهر ونيف بسبب اختفائي في ضواحي بغداد حينها شعرت بشحنة روحية، واوعز قائد المجموعة إلى كوادره لتهيئه الفطور وكان لذيذا يتكون من الدبس مع خبز التمن (السياح) الذي يعد على صاج من الحديد تسخن جيدا فيدلق عليها السائل المكون من طحين الرز والماء.. ما هي إلا لحظات خاطفة حتى يستقر السائل جامدا ورقيقا على الصاج فيؤخذ حارا ليؤكل مع غموس مناسب كالبيض، أو الدبس، أو غير ذلك. وقضينا جلستنا في تبادل مختلف الاحاديث الرسالية والحركية.. وبخاصة قضايا الساعة، ومواصلة الكفاح السياسي والمسلح باعتباره هو الطريق الوحيد لتحرير الأرض والإنسان العراقي من نظام الطاغية في بغداد.

وبعد ذلك انطلق بنا ليلا في زورقه الميمون، ثم انتهينا من مياه الهور، واودعنا الزورق في مكان مستقر امين حين وصلنا إلى الأرض اليابسة.. ليس فيها مطبات، ولا اشواك، ولا نباتات مؤذية والتي علينا قطعها سيرا على الاقدام إلى احد المهريين من ابناء عرب الاحواز في سبيل ان ينقلني إلى مدينة الخفاجية، واستغرق الزمن في هذه الرحلة ست ساعات وحينما اجتمع معه قائد العبور بأنفراد فوجيء بالرفض الصارم بحجة ان جهاز المراقبة الحدودية اعتقلوه وحذروه ان لا يعود مرة ثانية، بل حاولوا تجنيدهم للاخبار عن كل متسلل هارب لان منظمة مجاهدي خلق (المعارضة) صعدت من عملياتها داخل الجمهورية الاسلامية، وحاول قائد العبور بكل الوسائل اقناعه فلم ينجح.

وبالتالي صمم قائد العبور الرجوع إلى الهور مرة ثانية قبل طلوع الشمس، لان سيارات المراقبة الحدودية لم تهدأ تحاول اصطياد المهريين باطفاء انوارها ريثما تشعر بحركة عن قريب فتطاردهم وتلقي القبض عليهم ولقد خاطبني بألم: ينبغي ان نستصحبك معنا حتى نجد وسيلة مناسبة اخرى توصلك إلى الخفاجية، أو إلى طريق اخر وان كان يستغرق زمنا طويلا وفيه العسر والجرح.

بيد اني رفضت هذا الاقتراح.. وذلك بسبب السيارات الدورية واني عندما كنت اسير شوطا، وانبطح شوطا اخرى، بلغ بي الانهاك والاعياء والجوع والعطش حداً لا يطاق.. قلت: اذهب معكم حتى الجأ إلى بيوت العرب الذين يرعون المواشي حتى يصبح الصباح ثم الجأ إلى اقرب نقطة عسكرية.. ووافق على مضمض، واعطاني الحقبة التي فيها الوثائق السرية، وهويكاد يبكي عند توديعه لي وهويقرأ الآية المباركة ((ومن يتوكل على الله فهو حسبه)).

ورحت ابذل الجهد الجهد في السير بعد زوال العتمة وبدأ كل شيء واضحا لمحت على بيوت شعر وبعض الماشية فاتجهت نحوها، وعندها اقتربت شاهدت نهرا، وقد جلس على ضفته رجل اعراي، ويده ابريق يتوضأ منه استعدادا لاداء فريضة صلاة الفجر، فسلمت عليه فرد السلام بأحسن منه، وسألته من اين يمكن العبور يا حاج فأجابني (وصلت اعبر من القنطرة) فعبرت النهر وقد تقدمني الرجل مرحبا إلى داخل بيت الشعر، وسألني بعد ان اوعد إلى زوجته المحتشمة: احلبي الشاة يبدو ان ضيفنا يسيطر عليه الجوع والتعب.. اليس من

الافضل ان تأكل شيئاً.. فأجبتة شاكرًا لا اريد شيئاً سوى ان انام، ولا توقظني.. فقال: على الرحب والسعة، واخذ حصيرا، واغلق بيت الشعر قائلا: ((الحمد لله على ذلك لم يشاهدك احد من هؤلاء شرطة الحدود، وهذه الحصيرة وان سدت عليك بعض الهواء لكنها ستقيك في مأمن من تدخلاتهم)) ومن ثم رحت في نوم عميق لا احس بشيء ابدا مهما كنت جائعا وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحا احسست بالعرق يتصبب من جبهي بسبب ارتفاع درجة حرارة اشعة الشمس المحرقة التي كانت تتغلغل من خلال بيت الشعر غير المحبك النسيج لتسقط على وجهي، وفتحت عيني، ومسحت وجهي بالمنديل الذي كان بحوزتي، واذا بصاحب البيت يصبح علي مرة اخرى متمنيا ان اكون قد اخذت قسطا لا بأس به من الراحة وقال: ((لقد حان الوقت لكي تأخذ فطورك)) تناولت الافطار وقوامه حليب الغنم والخبز المشوي على الصاج الذي شاركني فيه مضيفي، وكان حقا اشهى افطار تناوله في حياتي.

وهنا ومن عادة العرب الاقحاح وحرصهم على ان يتعرفوا على ضيفهم واخباره وما يعانيه من مشاكل.. راح يسألني عن عشيرتي.. فقلت له: انا(ونعوذ بالله من كلمة أنا) من مدينة النجف الاشرف، ومن العائلة العلمية الدينية المشهورة في العراق ب((ال حسني البغدادي)). اما إلى أي من بني هاشم تنسب.. سمعت من والدي، وقبله جدي، وقرأت كتب الانساب والسير والتراجم: اننا نرجع إلى((شرفاء مكة)) ولدي تفاصيل كثيرة عن الاسر الحسنية التي ترتبط بنا من ذرية الامير الشريف حميضة ابن ابي نمي الحسني من امراء مكة المكرمة المتوفى سنة ٧٢١ هجرية واذا الرجل يرد علي بفخر واعتزاز، وانتم اخواننا، بل ساداتنا، وراح يتحدث عن مرجعية الإمام المجاهد السيد محمد الحسني البغدادي وما عاناه من ظلم واضطهاد في عهد شاه ايران المقبور، ثم يدعورجالا اخرين إلى بيت الشعر يرحبون بي، وحين سألتوني عن برامجي المقبلة، اني مزعم الذهاب إلى الخفاجية قد امكث فيها يوما ثم اغادرها إلى قم المقدسة، وبالفعل قد تم توصيلي اليها ظهر الرابع عشر من ربيع الاول العام ١٤١٩ هجرية- الموافق ٣٠ / ٧ / ١٩٩٨ ميلادية والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) مرافق سابق لصدام حسين، وزوج شقيقته الذي عرف بتزعمه أكبر عصابة لتفجير الآثار العراقية قبل أن يفتضح أمره عام ١٩٩٣.

(٢) هو الاخ فارس الحاج حسين ابو صبيح العضو القيادي في الحركة

(٣) هو الاخ عبد العزيز الماضي المواشي العضو البارز في الحركة

(٤) وهو: جهاد هادي ابو صبيح الحائز على شهادة بكالوريوس من كلية الفقه بالنجف الاشرف، اصدر صحيفة النجف الاشرف بعد احتلال العراق مباشرة ورئيس تحرير صحيفة الاحرار الصادرة عن الهيئة المؤسسة لاتحاد الادباء والكتاب وعضو هيئة سكرتارية المجلس العراقي للسلم والتضامن وعضو الهيئة الادارية لاتحاد الصحفيين حصل على اجازة تقديرية من قبل دائرة الاداب والفنون ونشرت له الصحف العربية الكثير من المقالات والدراسات، وصدرت له عدة مؤلفات ابرزها كتاب: الصحافة النجفية في عهد الاحتلال الاميركي في العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٦). هذا ولم يكن عضوا في المكتب السياسي بل كان نصيراً لحركة الاسلاميين الاحرار، وانما اعطي شرف هذه العضوية تضييعا وتمويهها على ازام النظام في حينها لان هذا الحوار نشر بكتاب مستقل قبل سقوط النظام البائد.. وكان بصحبه الحاج رعد ابو صبيح، والحاج عبد الحسن ابو صبيح.((المنسق)).